الهروب الكبير

ولكن السكين انحرفت قليلاً وانغرزت في جذع الشجرة فوق ذراعي ماجد المقيدتين ونظر إليه «سامنجو» ساخراً وهو يقول: لا يمكنني أن أغامر بقتلك. . وإغضاب اصدقائي الذين ينتظرون وصولك إلى بلادهم حياً على أحر من الجمر، فلنتمتع بما تبقى لك من الحياة، قبل أن يجزوا هناك عنقك في بلاد صديقي «إسحاق»!

وانطلق زعيم «الماساى» يضحك بقهقهة ساخرة شاركه فيها ضابط «الموساد». ونظر «إسحاق موردخاى» في ساعته وهو يقول :سوف تصل طائرتنا التي تحمل عقار الحقيقة بعد ساعة واحدة.

فأشار «سامنجو» إلى ضابط «الموساد» قائلاً : فلتشغل هذا

الوقت في تناول الطعام . . فأنت مدعو إلى وليمة رائعة في كوخي يا عزيزي . . فقد نضج الغزال المشوي تماماً .

وأشار «سامنجو» إلى بعض رجاله فحملوا الشواء إلى داخل كوخه، واتجه زعيم «الماساى» وضابط «الموساد» إلى الداخل وهما يضحكان في نشوة .

وأغمض ماجد عينيه متألماً . . كان الوقت يمضي بسرعة وقد سقط في أيدي أعدائه حيث تنتظره ساعات مهينة كان الموت أفضل لديه من مواجهتها . وكان الباقي له من الوقت هو ساعة واحدة ليفعل شيئاً ما ينقذ به نفسه وحسناء، ويغادر تلك الغابة الملعونة .

وألقى نظرة إلى حسناء: كانت تستعيد وعيها ببطء ووجهها الشاحب ينطق بإعياء بالغ . وتأمل ماجد المكان حوله، لم يكن هناك غير حارس أو اثنين على حين انهمك الباقون بتناول غدائهم داخل أكواخهم مطمئنين إلى استحالة تخلص الأسيرين من قيودهما .

كانت الفرصة مهيأة تماماً، ولكن قيود ماجد من ألياف الأشجار كانت أقوى من الصلب، ويستحيل قطعها . ووقع

بصر ماجد على سكين «سامنجو» المرتشقة في جذع الشجرة فوق يديه المقيدتين والتمعت عيناه بوميض الأمل، فقد أتاح له زعيم «الماساى» فرصة حل قيوده دون أن يدرى!

وجاهد ماجد بكل قوته ووقف فوق أطراف أصابعه، ورفع ذراعيه المقيدتين لأعلى لكي تلامس قيوده نصل السكين المغروزة في جذع الشجرة.

وأخيراً لامست القيود نصل السكين، فبذل ماجد مجهوداً مضاعفاً في حكها، إلى أن تقطعت القيود تماماً وتحررت يداه، وفي ثوان قليلة كان ماجد يستل السكين ليمزق بها قيود قدميه أيضاً فصارت حرة طليقة.

وتنفس بعمق وهو يشعر بنسيم الحرية، وأحس بقوته الضائعة تعود إليه هادرة جبارة، وغمغم في سخرية وقسوة قائلاً: لقد أخبرتك أن المهم من يضحك أخيراً أيها الوغد ضابط «الموساد»، ولكن غباءك صور لك أنها النهاية.

وتحرك ماجد في خفة نحو حسناء التي راقبته في ضعف وألم، فأشار لها ألا تنطق وأسرع بقطع قيودها.

وهمس ماجد لحسناء: تحاملي على نفسك، فعلينا الوصول

إلى طائرة الهليكوبتر لاستخدامها في مغادرة هذه الغابة دون أية مشاكل، فلن تتاح لنا أي فرصة للنجاة إذا ما حاولنا الهروب عبر الغابة على أقدامنا.

فأومأت حسناء برأسها موافقة في إعياء، وتحرك الاثنان عبر ساحة القرية، ولكن فجأة أوقفها صياح أحد المحاربين من الخلف وقد وقع بصره فجأة على الهاربين، فدفع ماجد حسناء صائحاً فيها: اسرعي إلى الطائرة وسألحق بك حالاً.. وعليك بالاحتماء بهذه السكين.

وألقى إليها بسكين «سامنجو»، ثم أحنى رأسه ليتحاشى الحربة التي أخذت طريقها إلى صدره، والتقط الحربة في الهواء، وبنفس السرعة والقوة ألقاها ثانية لتستقر في صدر المحارب الذي جحظت عيناه ثم تهاوى على الأرض دون حراك.

ولكن صرخة المحارب كانت قد لفتت انتباه الكثيرين، وما لبث أن اندفع العشرات من المحاربين شاهرين رماحهم وسهامهم وحتى البنادق الآلية، فوقفت حسناء مكانها في ذهول ورعب وقد انقطع عليها طريق الوصول إلى طائرة

الهليكوبتر . وجذبها ماجد من يدها صائحاً بها : ليس أمامنا طريق غير الغابة ، فلنحاول الإختفاء فيها .

واندفع الاثنان يعدوان نحو أطراف الغابة ، ولم ينس ماجد أن يقوم بالتقاط إحدى الجمرات المشتعلة من مكان الشواء ثم ألقاها نحو أحد الأكواخ القرية المصنوعة من البوص والسعف .

وفي اللحظة التالية أمسكت النار بالكوخ لتمتد سريعاً إلى كوخ آخر فثالث بسبب الرياح الشديدة ، واندفع «سامنجو» خارجاً من كوخه وصرخ في رجاله : اتركوا مهمة إطفاء النيران للنساء ، وأسرعوا بالقبض على هذا الشيطان ورفيقته .

ولكن ما كاد «سامنجو» ينهي عبارته حتى تصاعد دوي هائل ، وانفجر أحد الأكواخ في صوت عنيف واندلعت منه نار هائلة ، عندما طالت النار الأسلحة والقنابل المخفاة بداخله لتطيح بعدد من المحاربين في كل اتجاه .

وابتسم ماجد وهو يواصل هروبه مع حسناء داخل الغابة وأصوات الإنفجارات تتوالى في دوي هائل لتحيل ساحة القرية إلى جحيم . وهتف ماجد في حسناء : لقد تركنا لهؤلاء

الشياطين ما ينشغلون به عنا بعض الوقت، وأرجو أن تعجبهم حفلة الألعاب النارية التي تركناها لهم في ساحة القرية.

رمقت حسناء ماجد بإعجاب بالغ وقالت له: لا أكاد أصدق أننا نجونا من هؤلاء الوحوش.. لقد قمت بعمل رائع يستحيل أن يقوم به أي إنسان مهما كانت براعته.

ماجد: إننا لم ننج بعد، فلا تزال هناك مطاردة مخيفة سنتعرض لها بعد قليل، بعد أن يفيق هؤلاء الوحوش من حفل الألعاب النارية ويبدأوا في البحث عنا ليقيموا حفلهم الخاص على شرفنا، ونحن معلقان أمامهم من أقدامنا فوق أعلى الأشجار!

وكان ماجد على حق، فبعد دقائق كان مئات المحاربين ينطلقون في قلب الغابة يطلقون الأسلحة النارية بطريقة عشوائية.. على حين تعالت دقات الطبول كأنها دقات الموت.. تطلب من كل سكان الغابة القبض على الهاربين بأي ثمن.. وماجد وحسناء يندفعان جاريين بكل قوتهما.

واندهش ماجد لسرعة حسناء في الجري برغم قواها الخائرة، ولكنها انهارت أخيراً باكية وهي تقول: لا أمل لنا في النجاة.. ولا فائدة من مواصلة الهرب.

فأجابها في قوة : أنا عادة لا أستسلم قبل أن أستنفد كل وسائلي في النجاة.

ووقف لحظة مفكراً ثم قال في تصميم :فلنتجه غرباً بعيداً عن النهر، لأنهم سيتوقعون اتجاهنا نحوه للهرب فيحاولون قطع الطريق علينا في نفس الإتجاه.

ولكن حسناء صرخت في ماجد محذرة: سيكون من الجنون أن نسلك هذا الإتجاه، فهناك تعيش تجمعات من قرود الغوريلا الوحشية تمزق أي إنسان يدخل أرضها، ولا يسلم منها حتى محاربو «الماساى» الذين يتجنبون الاقتراب من أرضها، ومجرد دخولنا أرضها معناه النهاية.

ماجد : إذن لا يتبقى لنا غير الإتجاه شرقاً نحو بحيرة «فيكتوريا»، فهناك تنتشر المستنقعات والأعشاب والبوص التي تعتبر أفضل مخبأ لنا.

ولكن حسناء لم تتحرك من مكانها وبقيت واقفة ذاهلة وهي تشاهد عدداً من الغوريلات وقد ظهرت فجأة بعد أن اجتذبتها أصوات المطاردة.

وكان واضحاً الإتجاه الذي أقبلت منه. غرباً. من أرض الغوريلا أو أرض الجحيم!

وغمغم ماجد في سخط : لم يكن ينقصنا غير هذا!

وأمسك بذراع حسناء وشرعا يعدوان في الإتجاه المضاد بإتجاه النهر والغوريلا تطاردهما صارخة. وتعثرت حسناء في جذوع إحدى الأشجار فسقطت على الأرض، واندفع إليها أحد الغوريلات مزمجراً في وحشية لتمزيقها ولم يكن بإمكان ماجد أن يفعل شيئاً لها، ولكن حسناء امسكت سكينها وقذفتها في الهواء، فاستقرت السكين في قلب الغوريلا التي سقطت على الأرض دون حراك، فتراجعت بقية الغوريلات في خوف، ثم أسرعت هاربة تتسلق رؤوس الأشجار القريبة وهي تطلق صرخات حادة!

وهتف ماجد في حسناء : إنها رمية رائعة موفقة.. والآن فلنواصل انسحابنا.

وشرع الإثنان يواصلان عدوهما السريع وحسناء تبدي قوة غير عادية للحاق بماجد.

ولكن ومن الأمام قطع عليهما الطريق صوت صرخات المحاربين من قبيلة «الماساى». وجمد ماجد وحسناء مكانهما وقبل أن يفكرا في العودة من حيث أتيا، كانت أصوات عدد

آخر من محاربي «الماساى» تقطع عليهما طريق العودة. ورفع ماجد عينيه لأعلى قائلاً: لم يبق لنا غير استخدام رؤوس الأشجار للتنقل فوقها دون أن يرانا أحد.

قالت حسناء باكية: ولكني لا أجيد تسلق الأشجار.

ماجد: حسناً. سأحملك فوق كتفي، فلم يفكر أحد بعد في استخدام المصاعد داخل هذه الغابات للوصول إلى قمم الأشجار بطريقة مريحة!

وحمل ماجد حسناء فوق كتفه وشرع يتسلق أقرب الأشجار إليه حتى وصل إلى قمتها، ومن أسفل شاهد محاربي «الماساى» يقطعون المكان في كل اتجاه بحثاً عنهما.

وسمع ماجد صوتاً يأتي من الخلف فالتفت متأهباً.. ولكن صاحب الصوت لم يكن سوى «دودى».. قرد زعيم «الماساى» السابق «كيكو»!

وابتسم ماجد للقرد الصغير قائلاً: لقد اخترت اللحظة المناسبة للظهور يا «دودى»، فهل يمكنك أن ترشدنا إلى وسيلة لمغادرة تلك الغابة في أمان؟

ولكن القرد الصغير كشّر عن أنيابه في غضب، وراح يطلق

صرخات حادة عالية وملامحه تشي بعداء شديد، فتساءل ماجد في دهشة : ما الذي يفعله هذا القرد، ولماذا يبدو عليه الغضب إلى هذا الحد؟

ولكن القرد واصل صياحه وتناول ثمرة جوز هند قريبة قذف بها ماجد وحسناء، واتبعها بأخرى وثالثة فتحاشى ماجد وحسناء الضربات المصوبة إليهما، وظهر الغضب على وجه ماجد لدرجة دفعته إلى تناول ثمرة جوز هند غاضباً قائلاً: ان هذا القرد في حاجة إلى درس في التأدب، ولكي يصمت أيضاً حتى لا يلفت الإنتباه إلى مكاننا.

وصوّب ماجد ثمرة جوز الهند فأصابت القرد الصغير في جبهته، فصرخ متألماً ثم شرع في الهرب سريعاً بالقفز إلى شجرة أخرى قريبة.

ومن فوق رؤوس الأشجار علا أزيز طائرة مروحية، فارتجفت حسناء في رعب وهي تقول : انهم يستخدمون الهليكوبتر في البحث عنا، وما أن يلمحونا حتى يحصدونا برصاصاتهم.

التمعت عينا ماجد وقال : لا تخشي شيئاً . . فإنني أعتقد أن

نجاتنا من هذا المأزق سيكون بواسطة هذه الطائرة .

واعتلى ماجد قمة الشجرة دون أن يظهر نفسه ، وشاهد الهليكوبتر وهي تحوم بأعلى رؤوس الأشجار يطل منها اثنان من محاربي «الماساى» شاهرين المدافع الرشاشة ، وظل ماجد في مكانه الخفي انتظاراً للحظة المناسبة التي جاءته سريعاً . فعندما صارت الهليكوبتر فوقه لا يفصله عنها غير مترين فقط ، قفز ماجد بكل قوته وتشبث بحاجز الطائرة ، وتنبه محارباً «الماساى» إلى ما فعله ماجد فصوبا مدفعيهما الرشاشين نحوه ، ولكن وقبل أن يطلقاهما ارتفعت قدما ماجد في الهواء وهو ممسك بحاجز الهليكوبتر بعد أن ثنى نفسه بقوة ، وطارت قدماه لتصيب محاربي «الماساى» بعنف فألقت بهما من الباب الآخر للهليكوبتر ، فسقطا فوق الأشجار وهما يطلقان صرخات مفزوعة .

وتنبه قائد الطائرة بدوره للعدو المعلّق فوق الحاجز ، فمال بالطائرة في حدة لإسقاط ماجد الذي تشبث بالحاجز بشدة ، وبحركة بارعة تدل على مهارة وليونة فائقة ، ألقى ماجد بنفسه في قلب الطائرة ، وبلكمة قوية ترنح الطيار واصطدمت رأسه

بزجاج النافذة الجانبية فهشمها وامتلأ رأسه بالدماء، ولكن الطيار أخرج مسدسه بسرعة وصوبه نحو ماجد وأطلقه. ولكن «رجل المهام الصعبة» تصرف بسرعة أكبر، فمال برأسه لتئز الرصاصة على مسافة سنتيمترات قليلة من رأسه، ومرة أخرى طارت قبضته الى وجه الطيار، وكانت اللكمة هذه المرة من القوة بحيث جعلت الطيار يصطدم بالباب الى يساره في عنف، فانفتح الباب بشدة، وتهاوى الطيار من الباب المفتوح إلى الأرض، وقد سقط منه مسدسه داخل الطائرة.

وقفز ماجد إلى مكان الطيار قبل أن تهوى الهليكوبتر لأسفل، وشاهد حسناء وهي تلوّح له من أسفل في سعادة، فألقى إليها بسلم من الحبال من الباب المفتوح، فتعلقت حسناء بالسلم وراحت تصعده في خفة ومهارة ثم قفزت إلى داخل الطائرة، وهتفت حسناء بإعجاب بالغ: لقد قمت بعمل إعجازي أقرب إلى المستحيل.

فأجابها ماجد باسماً: أنت أيضاً قمت بعمل رائع.. والآن حان وقت العودة بواسطة هذا الطائر المعدني الرائع الذي جاء في وقته تماماً ليبعدنا عن هذه الغابة.

وضغط ماجد فوق أجهزة الطائرة التي حلقت عالياً فوق

قمم الأشجار، ثم يممت وجهها بأقصى سرعة جهة الغرب صوب العاصمة «نيروبي».

وتأمل ماجد وجه حسناء الذي كان برغم شحوبه يبدو جميلاً وقال لها: لقد أخبرت عزيزنا «إسحق» بأن المهم من يضحك أخيراً فسخر مني، ولعله الآن يعض أصابعه ندماً، أليس كذلك يا عزيزتي؟

فجاوبته حسناء بابتسامة رائعة وهي تقول له: أنت على حق.. فالمهم من يضحك أخيراً بالفعل!

والتقطت مسدس الطيار الصريع بين أصابعها وراحت تتأمله دون رهبة، وقد وضح أن المغامرة التي سقطت في أتونها قد غيرتها كثيراً، فلم تعد تلك الفتاة الرقيقة المدللة التي تخيفها أقل الاشياء!

* * *

الخدعة القاتلة

أغمضت حسناء عينيها وغرقت في النوم خلال الطريق، فراقبها ماجد في صمت والوقت يمر به سريعاً.

وابتسم ماجد وهو يشاهد نهاية غابات «الماساى» من تحته.. فقد غادر ذلك الجحيم برغم كل شيء.

وفتحت حسناء عينيها أخيراً والتفت إلى ماجد متسائلة: هل وصلنا إلى «نيروبي»؟

أجابها ماجد: لقد تبقت دقائق قليلة وتلوح لنا مشارف العاصمة.

وتأملها بإعجاب قائلاً: لقد قمت بعمل بطولي برفضك الإعتراف بمكان الوثائق والخرائط برغم كل ما لاقيته من

وسائل تعذيب وحشية من هؤلاء المجرمين.

فامتلأت عينا حسناء بالدموع وهي تقول: إنهم مهما فعلوا بي فما كنت لأعترف لهم على مكانها بعد أن تأكدت أن في وصولها إلى أيدي الأعداء كارثة قد تحيط ببلادي، وقد كنت مستعدة أن أضحي بحياتي في سبيل وطني مثلما فعل والدي الشهيد.

ماجد: أنت فتاة شجاعة ورائدة.. ولكنك لم تخبريني بعد أين أخفيت تلك الوثائق؟

فابتسمت حسناء قائلة: لقد وضعتها في مكان لا يخطر على بال، فعندما سمعت الدقات العنيفة على باب السفارة ومحاولة اقتحامها، فكرت في أن المقتحمين سوف ينقبون كل شبر داخل السفارة للعثور على هذه الأوراق، ولذلك تعمدت إخفاءها في مكان لا يمكن أن يجذب انتباه أحد، وفي نفس الوقت يكون قريباً مني داخل نفس حجرة مكتبي.

ماجد: وأين أخفيتها.. فقد فتش رجالنا كل أركان حجرة مكتبك فلم يعثروا عليها.

أشرق وجه حسناء بابتسامة واسعة وأجابت: لقد أخفيت

بعضها داخل جهاز التليفون ، فقد أسرعت بحل سماعته وأخفيت الأوراق القليلة والخرائط التي - لدقة حجمها - أمكنني دسَّ نصفها داخل سماعة التليفون بعد أن طويتها عدة مرات بشدة. أما نصف الأوراق الآخر فقد وضعته في خزينة سرية بالحائط بين أوراق ملف عادي.

رفع ماجد حاجبيه إعجاباً وهو يقول : أنت رائعة وقد فكرت بطريقة مدهشة ، فما كان يمكن لأحد أن يفكر في مثل هذا المكان أبداً او يخطر على باله.

وأخيراً ظهرت مشارف العاصمة نيروبي بأسفل ، فحلقت طائرة الهليكوبتر فوق الحي الدبلوماسي ، وهبط بها ماجد على مسافة قريبة من مبنى السفارة المصرية ، وفي الحال اندفع عدد من رجال الصاعقة والعمليات الخاصة من حرس السفارة ليحيطوا بالطائرة من كل جانب شاهرين أسلحتهم ، وصاح قائدهم في راكبي الطائرة : اخرجا رافعي الأيدي ولا تحاولا القيام بأي مقاومة!

فالتفت ماجد باسماً لحسناء قائلاً : إنهم من أفراد الحراسة الخاصة الذين وضعتهم السفارة حولها ، خشية أن ينجح

«سامنجو» في معرفة مكان الوثائق منك ومحاولته اقتحام السفارة ثانية للحصول عليها. فقد احتطنا لذلك الإحتمال بحراسة قوية حول السفارة، ويبدو أنهم ظنونا من الأعداء!

وأطل ماجد برأسه لرجال الصاعقة هاتفاً: إنه أنا.

وعلى الفور خفّض رجال الصاعقة والعمليات الخاصة أسلحتهم بعد أن تبينوا شخصية الراكبين، واندفع قائدهم إلى ماجد قائلاً في سرور بالغ: لقد فعلتها أيها البطل.

ماجد: إنني ارغب في مقابلة السفير حالاً فلدي معلومات تهمه بشأن الوثائق.

فأجابه قائد القوات الخاصة: سوف أبلغه حالاً فهو في مكتبه وعلى اتصال دائم بالخارجية لإبلاغهم بتطورات الموقف أولاً بأول، وإن كانت التعليمات لديّ أن أقوم بتفتيشكما.

اعترضت حسناء في غضب قائلة: كيف تفتشانا، نحن لا نقبل هذه المعاملة المهينة.

التفت ماجد إلى حسناء لتهدئتها قائلاً: إنها الأوامر فلا تغضبي يا عزيزتي، فليس لدينا ما نخفيه أو نخاف منه.

فانهمك أحد رجال القوات الخاصة في تفتيش ماجد ثم قام

بتيش حسناء والتقط مسدسها وهو يقول لها : ماذا تفعلين بهذا المسدس؟

فأجابته في قسوة : إنني لم أعد آمن على نفسي بعد ما حدث لي!

ماجد : إنها على حق . . فقد واجهت وقتاً عصيباً .

فاستدار رجل القوات الخاصة ليستشير قائده ، وعاد بعد لحظة ليعيد المسدس إلى حسناء قائلاً : لا بأس . . يمكنك الإحتفاظ به .

وأقبل سكرتير السفارة من الداخل قائلاً لماجد وحسناء : تفضلا فإن السفير في انتظاركما .

فخطا الإثنان إلى داخل السفارة ، وبعد لحظات كانا يدخلان مكتب السفير الذي ظهرت على وجهه امارات السعادة البالغة وهو يقول لماجد : إنني لا أصدق عودتكما ، فقد جاءتني بعض الأنباء بوقوعك في قبضة «زعيم الماساى» وضباط «الموساد» واستعدادهم لترحيلك إلى بلادهم .

ماجد : إن تلك الرحلة لم تكن تناسبني يا سيدي ، فإنني عادة أفضل أن أرسل أعدائي إلى الجحيم لا أن اتركهم

يرسلونني إلى هناك!

فانفجر السفير ضاحكاً، وربت على كتف ماجد بإعجاب قائلاً : يا لك من رجل رائع، لقد لقنت هؤلاء الشياطين درساً لن ينسوه إبداً.

ومال نحو حسناء في إعزاز قائلاً : وأنت أيتها الفتاة الشجاعة، لقد قمت بعمل بطولي رائع فرفعت رؤوس كل بعثتنا الدبلوماسية، ولقد أوصيتهم في مصر بمنحك وساماً وسيفعلون عند عودتك إلى بلادنا.

ماجد : علينا أولاً أن نحصل على الوثائق التي اخفت حسناء بعضها في سماعة التليفون بمكتبها والبعض الآخر في وسط أوراق عادية بخزينة الحائط السرية.

غمغم السفير في ذهول قائلاً : سماعة التليفو.. يا له من مكان لم يخطر ببالي أبداً أن أفتش فيه!

والتفت إلى حسناء في حماس قائلاً : سوف آمر بترقيتك ترقية استثنائية نظير تصرفك الرائع الذي لا يخطر على البال.. والآن هيا بنا لاستعادة هذه الأوراق والخرائط.

واتجه الثلاثة إلى حجرة مكتب حسناء المبطنة من الداخل

ككل حجرات السفارة لتمنع تسرب أي صوت داخلها من الوصول إلى الخارج . وبأصابع متلهفة أمسك السفير بسماعة التليفون وأدار قرصها كاشفاً في داخلها عن بضع أوراق رقيقة طويت عدة مرات ليتم إخفاؤها في ذلك الحيز الضيق ، ثم أسرع إلى الخزانة السرية في الحائط خلف لوحة عريضة ، وفتحها بمفتاح معه ، وبلهفة أمسك بالملف الوحيد من داخل الخزانة ليلتقط منه بضع أوراق أخرى ، ثم هتف في جزل وهو يفرد هذه الأوراق: إنها هي . . لقد حصلنا على تلك الوثائق والخرائط أخيراً!

وأمسك بكتفي حسناء في إعجاب بالغ قائلاً : شكراً لك أيتها البطلة .

فأجابته حسناء وعيناها تلتمعان بنظرة غريبة : لا شكر على واجب يا سيادة السفير .

ومدت يدها لتنتزع الأوراق والخرائط من يد السفير الذي هتف بدهشة : ما هذا الذي فعلته؟

فأخرجت حسناء مسدسها من جيبها وصوبته الى السفير وماجد قائلة : هل يفسر لكما هذا المسدس الحقيقة عندما تنطلق منه بضع رصاصات تنهي حياتكما؟

التفت السفير في ذهول إلى ماجد قائلاً : ما الذي يحدث هنا . . هل جنت هذه الفتاة أم أنها انضمت إلى أعدائنا؟

ولكن ماجد لم ينطق بشيء وحدّق في حسناء بجمود دون أن تفصح ملامحه عن أية مشاعر ، كأن ما يجري أمامه مشهد سينمائي .

وهتف السفير في حسناء غاضباً : دعكِ من هذا المزاح السخيف واخفضي هذا المسدس وأعيدي الوثائق لي . فأنا مدرك أنك تعرضت لأوقات عصيبة ربما تكون قد أثرت على أعصابك وجعلتك تتصرفين بمثل هذه الطريقة .

ولكن حسناء أجابته ساخرة : من قال أن أعصابي قد أثر عليها شيء ما . . إنهم هناك يلقبونني بذات الأعصاب الفولاذية ومن ثم فلا يمكنك أن تخشى شيئاً عليّ!

تساءل السفير ذاهلاً : هناك أين؟

أجابته حسناء بابتسامة ساخرة قاسية : في الموساد!

غمغم السفير في ذهول أشد : الموساد! هل أنت خائنة وتعملين مع أعدائنا . . ولكن هذا مستحيل ، لقد كان والدك أحد أبطال حرب «أكتوبر» فكيف انضممت إلى الأعداء

وخنت بلادك؟

أجابته حسناء في قسوة وسخرية : إنك لن تفهم شيئاً . . وربما بعد أن تذهب إلى الجحيم تفهم كل شيء هناك على مهل فلا وقت لديّ للشرح!

وأطلقت حسناء على السفير طلقة واحدة مكان القلب ، فترنح لها ثم سقط على الأرض وقد انكفأ على وجهه وفي عينيه نظرة ميتة تشي بأكبر قدر من الذهول ، دون أن يشعر أحد في الخارج بما يجرى داخل الغرفة بسبب حوائطها المبطنة! .

وقبل أن يتحرك ماجد كانت فوهة المسدس مصوبة إليه ، وقالت له حسناء : إذا حاولت طلب أي مساعدة فسوف أطلق عليك الرصاص قبل حتى أن تفتح فمك!

وفي كراهية عميقة أضافت : وأنا سأطلق عليك الرصاص على أي حال سواء فتحت فمك أو لا ، ولكن بعد أن أتلذذ قليلاً بتعذيبك . . فليس أمتع لي ولا أكثر مدعاة لفخري من أن أكون ضابطة «الموساد» التي استطاعت تحطيم أسطورة «رجل المهام الصعبة» أخيراً بعد كل المحاولات الفاشلة

السابقة . . فأنت تعلم أن لكل شيء نهاية يا عزيزي ، وقد حانت نهايتك!

نطق ماجد ببطء قائلاً : إنك لست حسناء الحقيقية بل أخرى زائفة . . أليس كذلك؟

أجابت المرأة وعيناها تومضان كعيني ذئبة وقالت : ها أنت قد تمكنت من الوصول الى الحقيقة أخيراً . . إنني بالفعل لست حسناء بل أنا ضابطة الموساد «راشيل ديان» . . وقد قام أمهر أطباء الموساد بعملية جراحية عاجلة لتغيير بعض ملامحي بسرعة لأبدو بملامح حسناء، ولحسن الحظ كان لي مثل قوامها ، كما أنني استطعت تقليد لهجتها وطريقتها في الحديث فخدعت الجميع حتى أنت . . فهل أعجبتك المفاجأة؟

لم ينطق ماجد بشيء، وواصلت «راشيل» قائلة : أما حسناء في الحقيقة فهي لا تزال في قبضتنا داخل الغابات حيث يخفيها «سامنجو» في مكان لا يخطر على بال ، فقد خشينا من محاولتكم استعادتها ولذلك أخفيناها في مكان سري في قلب الغابة ، وتظاهرت أنا أنني حسناء بعد أن قمنا باسرك . . وقمت أنت بإنقاذي والهرب من المعسكر وأنت تظن أنك

أنقذت حسناء الحقيقية .

ظلت ملامح ماجد هادئة لا تعكس أي انفعال ، وقال في بطء : لقد صارت المسألة واضحة الآن ، فلا شك أنكم استطعتم بواسطة التعذيب المتواصل أن تجبروا حسناء على الإعتراف بمكان الوثائق أو ربما استطعتم ذلك باستخدام عقار الصدق معها . ولكن كان من المستحيل عليكم استعادة هذه الوثائق بسبب الحراسة القوية حول سفارتنا والتي يستحيل اقتحامها ، ولذلك اضطررتم للقيام بهذه الخدعة لكي تتمكني من دخول السفارة دون مشاكل لتحصلي على الوثائق السرية والخرائط . وبعد أن عرفتم بوصولي إلى الغابة قمتم بهذه اللعبة وأنقذتموني من الموت وتظاهرتم بأنكم لم تستخدموا عقار الصدق بعد مع حسناء ثم سهلتم لي فرصة الهرب بعدها معك ، لأعود بك إلى سفارتنا فتحصلي على الوثائق بسهولة ، وكل تلك المطاردات التي تعرضنا لها في هربنا كانت زائفة كي لا اشك بالامر!

قالت راشيل ساخرة : ها قد بدأ عقلك ينشط أخيراً بعد كل ذلك الغباء الذي كان بادياً عليك في الساعات الماضية فلم تميز

بيني وبين حسناء الحقيقية . . لقد أصبت الحقيقة ، فقد كنا مضطرين للإحتفاظ بحسناء حية للتأكد من أنها أخبرتنا بمكان الوثائق الحقيقي . والآن وبعد أن حصلت عليها سأعود إلى الغابات لأقوم بآخر عمل لي في تلك المهمة فأفرغ رصاصاتي في قلب تلك الفتاة . . لتدفع الثمن . . كما دفعه والدها من قبل في حربنا السابقة معكم ، فكل من يقف ضدنا يكون مصيره واحداً . . الموت!

ورفعت «راشيل» مسدسها ببطء مصوبة فوهته إلى وجه ماجد . . ما بين عينيه تماماً وهي تقول له: من المؤسف أن أضطر لتشويه وجهك الوسيم أيها المصري لكي لا يبقى أي شاهد على ما حدث . . ولكي تنتهي أسطورة «رجل المهام الصعبة» إلى الأبد . . وبعدها سأهرع إلى الهليكوبتر في الخارج لأعود بها من حيث جئت . . تاركة لأولئك الأغبياء من الحرس الخاص مهمة اكتشاف جثتك أنت والسفير فيما بعد!

وأضافت ساخرة : لقد قلت أن المهم من يضحك أخيراً وكنت على حق . . فها قد جاءت النهاية . . ولن يضحك أحد سواي!

وتحرك ماجد من مكانه أخيراً . . ولكن حركته جاءت

متأخرة كثيراً. . فقد تحرك اصبع راشيل فوق زناد مسدسها بأسرع من لمح البصر ليطلق الرصاص.

وأصابت الطلقة جبهة ماجد فانكفأ على وجهه في سقطة عنيفة دون أن يشهق حتى بآهة ألم!

ووقفت «راشيل» مكانها تتنفس بصوت مسموع وهي لا تصدق أنها استطاعت في النهاية قتل «ماجد شريف». . «رجل المهام الصعبة». .

لقد تمكنت أخيراً من أن تفعل الشيء الذي فشل كل ضباط «الموساد» في أن يفعلوه قبلها. . ليس هذا فقط، بل إنها استعادت الوثائق والخرائط المسروقة.

لقد أدت مهمة مزدوجة ونجحت فيها بطريقة رائعة. . فأي مستقبل رائع ينتظرها في بلادها بعد أن يعلم الجميع بنجاح مهمتها الخطرة؟

وألقت «راشيل» بنظرة أخيرة على ماجد شريف ثم انطلقت تضحك في هيستريا. . لقد كانت هي آخر من يضحك في تلك المهمة الدامية.

وتمالكت نفسها بعد لحظة، فقد كان عليها مغادرة ذلك

المكان قبل أن تُكتشف حقيقتها. فخرجت من الحجرة في حذر وأغلقت بابها من الخارج.

وقابلها سكرتير أول السفارة ليسألها مندهشاً: أين سيادة السفير؟

فأجابته برقة: إنه في اجتماع مع ضابط المخابرات المصري وقد طلب ألا يزعجهما إي إنسان مهما كان، وعلى الجميع تنفيذ هذه التعليمات.

وأسرعت خارج السفارة نحو طائرة الهليكوبتر فسألها قائد القوات الخاصة مندهشاً: إلى أين أنت ذاهبة؟

فأجابته بابتسامة بريئة: لقد طلب مني سيادة السفير تسليم الطائرة إلى الشرطة الكينية، وسيلحق بي هناك مع «ماجد شريف» بعد قليل.

وقفزت إلى الطائرة وأدارت محركاتها وارتفعت بها عالياً.. فراقبها قائد القوات الخاصة في صمت وجمود، دون حتى أن يسألها متى وأين تعلمت قيادة الطائرات!!

* * *

المفاجأة

انفجر ضابط «الموساد» «إسحاق موردخاي» في ضحك متواصل. ظل يضحك حتى تقطعت أنفاسه واغرورقت عيناه بالدموع. وكلما استمع إلى مزيد من التفاصيل من «راشيل» انفجر في الضحك أكثر من ذي قبل.

وواصلت «راشيل» روايتها قائلة لرئيسها ضابط «الموساد»: أنت لا تدري كيف كانت مشاعر الذهول مرتسمة على وجه السفير عندما أخرجت مسدسي وصوبته إليه، وكذلك مشاعر الذعر والرعب التي اجتاحته وأنا أطلق الرصاص عليه.. إنه مشهد كوميدي لا يمكنني أن أنساه ما حييت!

انفجر «إسحاق موردخاي» في ضحكة عنيفة عالية، وشهق لكثرة الضحك ومسح دموع السرور، والتمعت عيناه في

وحشية قائلاً : إن مشاهد القتل تكون كوميدية دائماً ما دام القتيل هو شخص آخر غيرنا . . والآن أخبريني عن ذلك الثعلب المصري . . وكيف كان رد فعله وهو يشاهد قتل سفير بلاده؟

ارتسمت نظرة وحشية على وجه «راشيل» وهي تقول : لقد كانت المفاجأة مذهلة بالنسبة له لدرجة شلته عن قول أو فعل أي شيء . . فقد ظل يحدق في بذهول طاغ، وكلما أخبرته بالمزيد من تفاصيل الخدعة التي قمت بها زاد الذهول المرتسم في عينيه لدرجة جعلتني أشك في أن مثل هذا الرجل قام بكل تلك الأعمال التي تنسب له . فما سمعته عنه من قبل جعلني أتخيل أنه لا يمكن خداعه أو هزيمته، ولكنني خدعته بسهولة لا تخطر على بال، ولم أكن أظن أنني سأتمكن منه بتلك الطريقة، فقد خشيت من انكشاف خدعتنا حتى اللحظة الأخيرة، ولكن كل شيء سار على ما يرام، وكانت أمتع لحظاتي وأنا أصوب مسدسي إلى عيني هذا الثعلب المصري وأشاهد نظرة الذهول الحادة المرتسمة فيهما، وللأسف فقد تحوّل هذا الذهول إلى نظرة ميتة مؤلمة بعد أن أطلقت رصاصتي على جبهته .

فسألها «إسحاق» في وحشية : هل أنت نادمة على قتله؟

أجابته «راشيل» وهي تمط شفتيها في أسفٍ كاذبٍ إنه لشدة وسامته تمنيت له أنه لم يكن عدواً مطلوباً مني قتله . . لقد تمنيت لو أنني قضيت معه وقتاً سعيداً!

فهتف «إسحاق» وزبد أبيض يتجمع حول شدقيه كما لو كان ذئباً ينتظر التهام فريسته : وأنا يا عزيزتي أين ذهبت . . لسوف نقضي وقتاً رائعاً معاً!

فنظرت إليه «راشيل» باشمئزاز . لم تكن تكره أحداً في العالم قدر كراهيتها لذلك الرجل الذي كانت رئاسته لها في عملها واحتياجها إلى تقاريره عنها تجعلها تسايره متظاهرة بالود تجاهه ، ولكنها في تلك اللحظة كانت تشعر أنها تحررت من أسره أخيراً ، بعد أن حققت ما لم يفعله الآخرون من ضباط «الموساد» ، وتخلصت من أخطر أعدائها!

إنها بعد تلك اللحظة لم تعد بحاجة إلى تقديم هكذا تنازلات . . فهي قد صارت البطلة لبلادها ، والأبطال غير مجبرون على تقديم أي تنازلات!

ومسح «إسحاق» الزبد المتجمع حول شدقيه وقال : لماذا لم

تأتينا بجثة ذلك المصري حتى نعود بها إلى بلادنا فتكون جائزتنا أكبر؟

أجابته «راشيل» ساخرة : وهل كنت تظن أنني سأتمكن من الخروج بالجثة من السفارة المصرية وهناك العشرات من رجال قوات الحراسة الخاصة والصاعقة، أم هل تظنني أمتلك طاقية الإخفاء لأفعل ذلك؟

وأضافت بسخرية أشد : لماذا لم تذهب هناك بنفسك وتأتي بجثة هذه الثعلب لترينا مهارتك الفذة في العمل؟

فجاوبها «إسحاق» بنظرة ماكرة : وإن كانت تساوي مهارتك في الحديث وادعاء البطولات؟ لا تنسي أنني من خطط لهذه العملية ببراعة لا مثيل لها ، ولولا ذكائي لما أمكنك أن تفعلي شيئاً . . فنجاحك ينسب لي أولاً .

رفعت «راشيل» حاجبيها في ازدراء قائلة : أحقاً . . لطالما خطط الآخرون من رجال «الموساد» مئات الخطط من قبل، وكلها أحبطها «رجل المهام الصعبة» وكان مصير أصحاب هذه الخطط جحور الفئران والاستيداع المبكر ليغرقوا همومهم وفشلهم بعد ذلك في احتساء الكحول، وليموتوا بعدها مثل

الكلاب الضّالة البائسة، فلا يكتشف أحد موتهم قبل أن تفوح روائحهم النتنة!

ورفعت رأسها في ثقة حادة مضيفة: المهم من قام بالتنفيذ وليس بالتخطيط!

بانت نظرة خبيثة على وجه إسحاق وقال: دعينا لا نختلف يا عزيزتي، لقد أدينا المهمة معاً على أكمل وجه، ونحن نستحق التقدير والمكافأة معاً، ولا شك أنهم في بلادنا سيقومون بتكريمنا التكريم اللائق، ويدفعون بنا للأمام لنصير معاً من قيادات «الموساد»!

واقترب أكثر من «راشيل» وهو يضيف: إن مستقبلاً رائعاً ينتظرنا يا عزيزتي.. ومستقبلنا معاً!

ولكن «راشيل» ابتعدت عنه وهي تقول: لا تنسَ أننا في تلك الغابة اللعينة بعيداً عن وطننا وعلينا إخفاء مشاعرنا، وعليك ألا تنسَ أول قاعدة تعلمناها في عملنا والتي تقول أن المشاعر الإنسانية ضعف لا يليق بضابط المخابرات.

تجهم وجه «إسحاق» وقال: إنني لم أنسَ بكل تأكيد.

قالت «راشيل» ساخرة: بل يخيل لي أنك نسيت وإلا ما

تركت تلك الفتاة سكرتيرة السفارة المصرية حية كل هذا الوقت بعد تأكدك من استعادة الوثائق والخرائط.

التمعت عينا إسحاق بنظرة شيطانية وقال: إنني لم أبق على حياتها شفقة بها أو لأن قلبي قد رق لتوسلاتها، لا يا عزيزتي فليس لي قلب ليرق للمشاعر الإنسانية، ولكني أبقيت على حياتها من أجل مزيد من الإنتصارات لي ولك.. فلا شك أننا عندما نعود بها حية الى بلادنا لتظهر فوق شاشات تليفزيوننا وتحكى عن العمل الخارق الذي قمنا به أنا وأنت، لا شك أننا سنصير أبطالاً في بلادنا وسيزداد التكريم الذي سيمنحوننا إياه.. فهل عرفت الآن لماذا تركتها حية كل هذا الوقت؟

رمقت «راشيل» رئيسها في صمت، كان برغم حقارته وأساليبه القذرة، يملك عقلاً شيطانياً لا سبيل إلى إنكاره.. كان هو الرجل المناسب في المكان المناسب حقاً!

ومد «إسحاق موردخاى» يده إلى «راشيل» قائلاً: أين الوثائق والخرائط التي حصلت عليها؟

وفي صمت أخرجت «راشيل» الوثائق والخرائط ومدتها إلى رئيسها وهي تنظر إليه في حقد، وكأنها تخشى أن يكون

انتصارها قد أفلت منها بخروج الوثائق من يديها. والتقط «إسحاق» الأوراق في لهفة بالغة وراح يتفحصها وهو يقول: رائع.. رائع.. لقد حصلنا على بغيتنا أخيراً ولن يستطيع المصريون أو غيرهم معرفة مكان خط الأنابيب السري أو محاولة تعطيل استكمال إنشائه، لقد تم كل شيء في براعة تامة منقطعة النظير.

والتمعت عيناه بوميض شيطاني وهو يضيف: إنني لن أسلمهم هذه الوثائق في بلادنا قبل أن أحصل على الترقية والمكافأة المناسبة.

ورمقته «راشيل» بغضب فأضاف في خبث: الترقية والمكافأة لنا معاً!

وقرع الباب فجمدت ملامح «إسحاق» وتوقف مكانه، وتساءل في سخط: من بالباب؟

وانفتح الباب وظهر في مدخله «سامنجو» الذي وقف يحدّق في إسحاق بصمت ونظرة باردة، فهتف به اسحاق: ماذا تريد، ولماذا تقتحم كوخنا بمثل هذه الطريقة؟

أجابه «سامنجو»: لقد تسبب احتراق الأكواخ وانفجارها

في تدمير كل مساكن القرية ولم يبق إلا القليل منها . ولقد سايرتكما في تلك الخدعة أمام ذلك المصري وأبدلنا الفتاة التي جاء يسعى لاستعادتها وسهلنا له الهرب ولم أكن أعلم أن الثمن سيكون تدمير قريتنا بعد أن أشعل هذا الشيطان النار فيها .

أشاح «إسحاق» بيده في حنق قائلاً : سوف نعوضك بالمال اللازم لبناء قرية جديدة . . ولا أظن أنكم تحتاجون إلى ثريات فاخرة ورخام مستورد في بناء القرية مرة أخرى!

تقلصت ملامح «سامنجو» وقال : ما يهمني ليس هو الأكواخ المحترقة ، بل الأسلحة والقنابل والألغام التي كانت مخفاة بداخل أكواخها والتي تسبب هذا المصري في انفجارها وخسارتنا لها .

تلاعبت ابتسامة ماكرة على وجه إسحاق وقال : لقد توقعت منك هذا الطلب . . ولقد قمت بتحقيقه لك دون أن تدري . . فإننا لا نتخلى عن اصدقائنا ومن يساعدوننا في تحقيق أهدافنا .

تساءل «سامنجو» في لهفة : ماذا تقصد بذلك؟

أجابه «إسحاق» : إنك تعرف أن هناك طائرة هليكوبتر حربية ضخمة ستصل من بلادنا لتعيدنا إلى الوطن مع تلك الفتاة المصرية حسناء، ولقد بعثت لهم بإشارة لاسلكية عاجلة لكي تأتي تلك الطائرة محملة بأكثر مما فقدت من أسلحة وقنابل يا عزيزي، فإن بلادنا لا تتخلى عن أصدقائها، ولديها دائماً من أسلحة الدمار ما تهديه لكل من يقف في صفها!

أشرق وجه «سامنجو» وهتف : هذا رائع . . وبذلك تصبح المسألة منتهية تماماً ولا يكون هناك أي مجال للخسارة على الإطلاق.

قال «إسحاق» بخبث : إن من يضع يده في أيدينا لا يخسر أبداً . . ونحن يهمنا أن يتعاظم نفوذك داخل الغابات بأكملها، وتكون رجلنا القوي في كل أفريقيا لنحقق أهدافنا معاً.

تساءل «سامنجو» : ومتى ستصل طائرتكم الحربية؟

ألقى «إسحاق» نظرة إلى ساعته وهو يقول : سوف تصل بعد ساعة بالضبط وستهبط داخل الساحة الكبيرة في القرية، وعليك أن تأمر رجالك بإشعال ثلاثة أكوام ضخمة من النيران على حافة القرية على شكل مثلث، لتكون بمثابة علامات

إرشادية للطائرة تتعرف بها على مكاننا في الظلام لتهبط على اضواء شعلاتها.

هتف «سامنجو» في لهفة : سوف أفعل حالاً . وسيشعل رجالي ناراً كالجحيم!

وانطلق زعيم «الماساى» يغادر المكان متلهفاً، وتابعه «إسحاق» في احتقار و كراهية قائلاً : إن الجحيم هو أن أضطر للعمل مع مثل أولئك الزنوج المتوحشين، ولو كان الأمر بيدي لأطلقت النار عليهم جميعاً وعدت الى بلادي لأنعم بساعات سعيدة.

واقترب من «راشيل» التي واجهته بنظرة احتقار فتراجع «إسحاق» وهو يقول : لم يعد هناك متسع من الوقت أمامنا، فعلينا إخراج تلك الفتاة المصرية من مخبئها الذي أخفيناها فيه تحت الأرض في الغابة، وتجهيز أشيائنا لكي نكون على أتم الإستعداد للرحيل.

واتجه الإثنان خارجين نحو القرية التي خربها الحريق وانفجارات القنابل حتى أتت عليها. ولولا الأمطار التي هطلت ساعتها فساعدت في إطفاء النار لتحولت الغابة إلى

جهنم مشتعلة ، وفي ساحة القرية شاهدا أعداداً من المحاربين قد راحوا يكومون أغصان الأشجار في ثلاثة أكوام ضخمة ، قبل أن يشعلوا فيها النيران التي تأججت عالياً فوق رؤوس الأشجار ، وأحالت ظلام الليل إلى لهيب مشتعل .

وحزم إسحاق وراشيل أشياءهما من كوخ «سامنجو» الذي لم تأت عليه النيران مع بضعة أكواخ أخرى قليلة لم يمسها الحريق ، ثم اتجها خلف القرية على مسافة إلى دغل قريب كان يقف على حراسته عدد من محاربي «الماساى» الأقوياء المسلحين بالمدافع الرشاشة وقد حملوا المشاعل لإنارة جنبات المكان حولهم . وما أن شاهدوا ضابطي «الموساد» حتى أفسحوا لهما الطريق ، فأزاح الإثنان بعض الأغصان من على الأرض فظهرت تحتها فتحة تؤدي إلى سلالم هابطة لأسفل ، وأخذ إسحاق من أحد المحاربين مشعلاً هبط به ، وفي نهاية السلالم توقف أمام حجرة مغلقة بقضبان حديدية ، وعلى ضوء المشاعل ظهر بداخل الزنزانة جسد ضئيل نحيل انكمشت صاحبته على نفسها فزعاً ورعباً وقد ظهرت عليها آثار تعذيب شديدة .

وما أن لمحت حسناء ضابطي «الموساد» حتى زاد انكماشها والتصقت في الحائط فقالت لها «راشيل» ساخرة : لا تخشي شيئاً يا عزيزتي . . فقد اضطررنا لسجنك في هذا المكان لكي لا يهتدي إلى مكانك إنسان ما وحتى ذلك القرد الصغير خدعناه بأن جعلناه يلتقط منديلاً زائفاً لك من كوخ «سامنجو» . . والآن قد انتهى كل شيء بعد أن اعترفت لنا بمكان الوثائق ، وحان أوان مغادرتك لهذا المكان .

تساءلت حسناء بصوت يئن من شدة الألم : هل ستتركاني أعود إلى وطني؟

أجابها «إسحاق» بقسوة وخشونة : بل إنك ستعودين معنا إلى بلادنا نحن .

فصرخت حسناء في ذعر ، ولكن «راشيل» جذبتها من يدها في عنف وجرتها إلى الخارج وهي تلطمها بيديها وقدميها دون شفقة ، وإسحاق يراقب ما يحدث وهو يطلق ضحكات مستمتعة .

ووصلوا ثلاثتهم إلى الساحة «وراشيل» «وإسحاق» يجران حسناء جراً لشدة ضعفها . وأخرجت «راشيل» من جيبها بضعة

أوراق مدتها إلى «سامنجو» قائلة في احتقار : هذه الأوراق هي كشف حساب بكل ما تسلمته من أسلحة منا . . حتى تتذكر دائماً حجم المساعدة التي منحناها لك ، فيجعلك ذلك أشد إخلاصاً لنا!

فتناول «سامنجو» الأوراق صامتاً. لم يكن يحب أن يعامله أي إنسان بتلك الطريقة المهينة ، ولكن لم يكن أمامه أي قدرة على الإعتراض . وكان عليه تحمّل أي إهانة في سبيل تحقيق أهدافه .

وألقى «إسحاق» نظرة إلى ساعته وقال : سوف تصل طائرتنا بعد خمس دقائق بالضبط . . فطيارونا مشهورون بدقتهم الشديدة في المواعيد ولهم سمة عالمية في ذلك!

وأضاف في لهجة مفاخرة : إنهم دائماً يصلون في الميعاد المحدد في الغارات ليلقوا بأطنان القنابل على المنازل والسكان ، ويعودوا إلى قواعدهم بدقة مدهشة دون تأخير ثانية واحدة!

ولكن الدقائق الخمس انقطعت وبعدها خمس دقائق أخرى دون أن تبدو أي طائرة في الأفق ، فتساءلت «راشيل» في قلق: لماذا تأخرت طائرتنا . . هل أصابها عطل في الطريق أو أن العملية تأجلت؟

وفجأة علا أزيز قوى وظهرت طائرة حربية مروحية عملاقة بأعلى فهتف «إسحاق» في سرور : ها قد وصلت طائرتنا أخيراً .

وهبطت الطائرة في قلب الساحة الواسعة وقفز منها الطيار الذي وضع نظارات سوداء فوق عينيه وأرخى قبعة فوق وجهه حتى أخفت ملامحه ، فتقدم منه إسحاق قائلاً : لماذا تأخرت يا عزيزي ، فقد طال اشتياقنا للعودة إلى بلادنا؟

فأجابه الطيار في صوت عميق وبلهجة ساخرة : إنك لن تذهب إلى أي مكان آخر أيها الوغد ، إلا إلى الجحيم أنت وكل زمرة الأوغاد في هذا المكان!

جمد «إسحاق» في مكانه ذاهلاً دون أن يدرى السر في إجابة الطيار الغريبة ، وتقدمت «راشيل» نحو الطيار في غضب قائلة : كيف تسبنا أيها الغبي . . ألا تعرف أن باستطاعتنا عقابك وفصلك من الخدمة بل وسجنك؟

فتحركت أصابع الطيار لتخلع قبعته ونظاراته ، والتقط مدفعاً رشاشاً من داخل الطائرة وهو يقول في لهجة قاسية : لا أظن أن بإمكانكما أن تفعلا أي شيء لي أيها الأوغاد . . فقد

أخبرتكما من قبل أن شجاعة بني جنسكما لا تظهر إلا أمام الأشخاص المقيدين ، وأنا لست مقيداً هذه المرة كما تريان!

وما أن وقع بصر «راشيل» «وإسحاق» على وجه الطيار حتى اتسعت عيونهما في ذهول طاغ لا مزيد عليه. . وظهرا كأنهما يشاهدان شبحاً من الأشباح قادماً من عالم الموتى بطريقة لا يمكن لبشر أن يقوم بها!

كانت المفاجأة مذهلة بالفعل لضابطي «الموساد». . فلم يكن الواقف على مسافة خطوات منهما غير «ماجد شريف». . رجل المهام الصعبة»!

* * *

الخدعة المضادة

تراجعت «راشيل» إلى الوراء في ذهول كأنها تلقت لطمة قاسية، وهزت رأسها غير مصدقة وهي تقول: مستحيل أن تكون أنت الشخص نفسه الذي أطلقت الرصاص عليه.. إنك شبح.. لا شك في ذلك!

أجابها ماجد ساخراً: وهل تقود الأشباح الطائرات الحربية المحملة بالأسلحة والقنابل؟

ولوّح ماجد بمدفعه الرشاش إلى حسناء قائلاً لها: تعالي يا عزيزتي فقد انتهت الساعات العصيبة.. وجاء من يلقّن هؤلاء الأوغاد درساً قاسياً!

فتحركت حسناء في ذهول نحو ماجد وهي لا تصدق ما يحدث أمامها، ثم احتمت خلفه وهي تجهش بالبكاء.

وجن جنون «إسحاق» وهو يقول : ما الذي يحدث هنا . . كيف عاد هذا الرجل إلى الحياة فجأة؟

والتفت في غضب هادر إلى «راشيل» قائلاً : لقد خدعتني وادعيت قتل هذا الرجل أيتها الكاذبة؟

ولكن ماجد أجابه قائلاً : لا تلمها يا عزيزي . . فالأمر مفاجأة لها أيضاً وها أنا أثبت لها أن عمري أطول من أعمار نمور هذه الغابة ووحوشها و كل أوغادها .

صرخت «راشيل» : ولكن مستحيل . . لقد أطلقت الرصاص عليك بنفسي .

أجابها ماجد في هدوء : لقد كان رصاصاً زائفاً ذلك الذي أطلقته عليّ أنا وذلك الشخص الذي تظاهر بأنه السفير المصري في «نيروبي»!

عضت «راشيل» على شفتيها في قسوة قائلة : إذن فقد كان السفير زائفاً أيضاً؟

قال ماجد ساخراً : إننا لم نشأ أن نكون أقل كرماً منك ، وما دمت قد تظاهرت بأنك سكرتيرة سفارتنا ، فقد كان علينا أن نثبت لك أننا لا نقل حيلة ومهارة بخدعة مضادة وحتى

تكون اللعبة على أكبر قدر من المناورة والخداع!

غمغم «إسحاق» في جنون: إنني لا أفهم شيئاً.

ماجد: سوف أشرح لكما كل شيء.

واجتاحت عيناه ساحة القرية التي جمد كل محاربيها في أماكنهم ذاهلين أمام المدفع الرشاش المصوب من ماجد اليهم، فتأملهم ماجد بنظرة ساخرة ثم قال: لقد ساورني الشك منذ اللحظة التي كنت فيها أسيراً في هذا المكان، فقد أدهشني أولاً أن هناك من قام بعلاجي من سم الحربة التي أصابتني كأنه لا يرغب في موتي ويدخر حياتي من أجل القيام بمهمة خاصة لن تنجح بدوني. وأيضاً فقد أدهشني أن ذلك الزنجي المجرم «سامنجو» ترك سكينه في جذع الشجرة التي قيدتموني إليها بعد أن تظاهر بأنني أغضبته وأنه رشق سكينه في الشجرة بالقرب من قيودي تماماً، ومن خلال تلك السكين تمكنت من قطع قيودي. وما شككني أكثر في الأمر هو أن الساحة تركت خالية من المحاربين عن عمد لأتمكن من قطع قيود حسناء والهرب معها. وأدهشني كذلك أن فتاة مختطفة مثل حسناء المفروض أنها تعرضت لحملة تعذيب وحشية قد سارعت

بالهرب معي بقوة لا تتناسب مع ضعفها، وأدهشني أيضاً أنها كانت تعرف مكان أرض الغوريلا المتوحشة وحذرتني من الإتجاه إليها. . والمفروض أنها غريبة عن تلك الغابة ولا تعرف عنها شيئاً. . وجعلني ذلك أشك في حقيقتها. وكان تصرف القرد الصغير «دودى» غريباً عندما راح يقذف بثمرات جوز الهند صوبنا في غضب، والحقيقة أنه كان يقصد بها تلك المزيفة التي حلت محل حسناء وكان يعرف حقيقتها، فشككت في الأمر وتظاهرت بالغضب لكي لا تفصح عن شيء وألقيت بثمرة جوز هند على القرد لإبعاده خشية من أن تقتله تلك الذئبة التي كانت ترافقني، فهي لا تتورع عن قتل إنسان أو حيوان في سبيل تحقيق أهدافها وإخفاء حقيقتها.

حدّقت «راشيل» في ماجد بحقد وكراهية عميقة، ولكنه واصل حديثه في ابتسام قائلاً: ثم تأكدت أن من ترافقني هي فتاة زائفة عندما شاهدتها تستل سكينها التي أعطيتها لها، وتصوبها في دقة مذهلة نحو قلب الغوريلا الذي حاول قتلها. . وكانت الضربة من المهارة والسرعة والإحكام بحيث لا تقوم بها إلا فتاة تدربت عليها طويلاً. . كضابطة مخابرات مثلاً!

عضت «راشيل» على شفتيها في قسوة وغضب هائل، ونظر إليها «إسحاق» في حقد و كراهية وواصل ماجد قائلاً :
وعندما استطعت الوصول إلى طائرة الهليكوبتر وأعتقدت أنكم سهلتم لي ذلك كنت متأكداً أنكم لن تستخدموا الصواريخ ضد نفس الطائرة لأنكم تهدفون إلى وصولنا سالمين لسفارة بلادي، ولو أنكم حاولتم استخدام هذه الصواريخ ولو بمحاولة زائفة ضد الطائرة لربما قلّ شكي في حقيقة الفتاة التي ترافقني داخل الطائرة. وخلال رحلة العودة إلى «نيروبي» استغللت الفترة التي غلب فيها النعاس على مرافقتي داخل الطائرة لكي أطلب من سفيرنا من «نيروبي» من خلال رسالة شفرية بلاسلكي الطائرة أن يضع شخصاً آخر مكانه لكي أتأكد من شكي إذا ما كانت مرافقتي ستتعرف على الشخص الزائف وتكتشف أنه ليس السفير الحقيقي أم لا.

وتطلع ماجد الى راشيل بسخرية قائلاً :

ولقد فشلت في التعرف على السفير الزائف فأثبت انك زائفة أيضاً.. وكنت قد طلبت من رجال القوات الخاصة التظاهر بتفتيشنا عند وصولنا للسفارة، ثم حصولهم على

مسدسك والتظاهر بالتشاور بشأنه، على أن يعيدوا إليك مسدساً مشابهاً من نفس الطراز ولكنه يحتوي على رصاص زائف لا يقتل.. وقد نجحت الحيلة تماماً ولم تنتبهي إلى خدعتنا.

عضت «راشيل» على شفتيها بقسوة أكبر حتى كادت تدميهما، ثم هتفت في صوت متحشرج: ولكنني تمكنت من الحصول على الوثائق والخرائط في النهاية.

أجابها ماجد ساخراً: هذا صحيح، ولكننا صورناها قبل ذلك فصارت لدينا نسخة أخرى مطابقة.

صرخت راشيل: مستحيل، فلم يكن أحد يعرف مكان تلك الخرائط والوثائق ولا أنتم.. وأنا لم أخبرك عن مكانها إلا في الطائرة، ولم أتركك لحظة واحدة بعد ذلك لكي تقوم بتصوير تلك الوثائق.

تلاعبت ابتسامة ماكرة على شفتي ماجد وقال: هذا صحيح ولكنك لم تنتبهي خلال حديثك وإخبارك لي بمكان الوثائق إلى أن جهاز اللاسلكي داخل الطائرة كان مفتوحاً، وأنه كان هناك من يلتقط حديثنا في سفارتنا «بنيروبي»، وما

أن عرفوا مكان الوثائق حتى سارعوا بإخراجها من مكانها وتصويرها ، ثم أعادوها مكانها مرة اخرى حتى تعثري عليها فلا يخالجك شك في انكشاف أمرك . وبالطبع كان عليّ التظاهر بالموت بعد إطلاقك رصاصتك الزائفة ، وكانت أوامري كذلك للقوات الخاصة أن تتركك تقلعين ثانية بالطائرة وتعودين إلى هنا .

صرخت «راشيل» في غضب وحشي : أيها الشيطان . . ولماذا تركتني أهرب وأعود إلى الغابات وقد كان بإمكانك قتلي أو القبض عليّ داخل سفارة بلادك؟

ماجد : لقد كان هناك هدف آخر أسعى إليه ، وهو أن أصل الى مكان حسناء الحقيقية التي أخفيتموها بمهارة داخل الغابة وما كان باستطاعتي الوصول الى مكانها مائة عام ، وهأنذا قد جئت لإنقاذها برغم المخاطر التي كنت أعرف انني سأتعرض لها . إن بلادي لا تترك أحد أبنائها في محنة دون أن تبذل كل الجهد لإنقاذه ، وخاصة إذا أظهر هذا الابن من الشجاعة وحبه لبلاده ، ما يفوق التصور . وقد نجحت خطتي تماماً فبعد وصولك الغابات أخرجت حسناء من سجنها

واستعددت للعودة بها إلى بلادك، ولكني جئت في طائرتكم بدلاً من ذلك الطيار الغبي الذي كان يقودها، بعد أن تركته في مكان ما ممدداً بلا حراك!

قال إسحاق في ذهول: ولكني لا أفهم كيف استطعت الوصول إلى طائرتنا الحربية وأن تحل محل طيارها بمثل هذه الصورة المذهلة؟

ابتسم ماجد ابتسامة واسعة قاسية وقال: لقد كان الأمر بسيطاً تماماً.. فقد استمعت إلى كل ما دار بينك وبين الذئبة زميلتك، فلو أنها تنبهت إلى ملابسها جيداً لاكتشفت جهاز الإرسال الصغير البعيد المدى الذي وضعه في جيبها رجل القوات الخاصة عندما تظاهر بتفتيش ملابسها عند دخولها السفارة. ومن خلال هذا الجهاز تمكنا من سماع حديثكما وعرفت بأمر الطائرة الحربية الهليكوبتر التي ستصل إلى الغابة محملة بالأسلحة، وكذلك بأمر العلامات الإرشادية لها لتهتدي إلى مكانكم، وسارعت بإشعال نار زائفة بنفس العلامات الإرشادية على حدود الغابة بعيداً حتى لا تروها فتستكشفوا الأمر، ولكنها أدت الفرصة منها، وانخدع بها الطيار فهبط بالقرب منها.. وكان من السهل عليّ بعد ذلك

أن أرسله في غيبوبة لن يفيق منها إلا ليجد نفسه في حجرة العمليات لاستعادة ما ضاع من فكه، ثم اخذت بعدها مكاني في الطائرة. . وهو الأمر الذي تسبب في تأخير الدقائق الخمس وأضاف في لهجة ساخرة : وهو أمر أرجو أن تغفره لي!

راح إسحاق يصرخ كوحش جريح : لقد ضاع كل شيء. . وخدعنا هذا الرجل كما لو كنا مجموعة من الأطفال الأغبياء. . وراح يلهو بنا ويفعل ما يشاء، ونحن هنا نتشدق بكلمات زائفة عن النصر والمجد.

فرمقه ماجد في قسوة وسخرية قائلاً : أخبرتك أيها الوغد أن المهم من يضحك أخيراً. . وقد اعتدت أن أكون من يضحك الضحكة الأخيرة!

إلتمعت عينا إسحاق ببريق جنوني وصاح : إنك لن تضحك بعد الآن أيها الشيطان المخادع، ولسوف يكون هذا المكان هو مقبرتك.

وامتدت ذراع «إسحاق» إلى مسدسه ولكن ماجد صوب مدفعه الرشاش إلى صدر ضابط «الموساد» قائلاً : حاول أن تقوم بأي عمل فأجعل جسدك يتراقص تحت لهيب الرصاص،

وروحك القذرة تصعد إلى جهنم قبل أن تلمس أصابعك سلاحك!

ارتعدت «راشيل» قائلة : ماذا تريد منا ؟

فأجابها ساخراً : إنه نفس ما كنتما تنويان أن تفعلا مع حسناء . . فسوف أحملكما داخل تلك الطائرة داخل قفص لأعود بكما إلى بلادي ، لكي تتم هناك محاكمتكما علناً ليتم عقابكما على كل الجرائم التي ارتكبتماها في حقنا ، ولكي نفضح بلادكما في محاولتها لسرقة مياهنا . . ولسوف يأتي ذلك الزنجي المجرم «سامنجو» في قفص ثالث ، لكي تكتمل حمولة الطائرة بكل أنواع الأوغاد!

غمغم «إسحاق» في كراهية وحقد عميق : أنت واهم ولن تحصل علينا إلا جثة هامدة .

ماجد : إذا كان هذا هو خيارك فلا أملك إلا تحقيقه لك!

ولكن وقبل أن يتحرك أصبع ماجد فوق زناد مسدسه صرخت حسناء في فزع قائلة :حاذر أيها البطل .

ولكن تحذيرها جاء متأخراً . . متأخراً جداً . . فمن أعلى الطائرة الهليكوبتر الحربية الضخمة كان هناك ثلاثة من محاربي «الماساى» قد تسلقوها في هدوء ودون أن يشعر بهم ماجد ،

ثم ألقوا بأنفسهم فوقه في عنف وقوة في مفاجأة مباغتة.

وسقط الأربعة فوق الأرض متدحرجين، وانتهز «إسحاق» الفرصة وصرخ في محاربي «الماساى»: اقتلوا هذا الشيطان.

ولكن ماجد تخلص من مقاتليه الثلاثة، فدق رأس اثنين بعضهما ببعض في عنف بالغ، ثم طارت قبضته في معدة الثالث فكادت تمزقها وألقته طريحاً على الأرض كالقتيل.

وفي نفس اللحظة شاهد ماجد عشرات من محاربي «الماساى» يقطعون عليه طريق العودة إلى الطائرة الحربية، ولم يكن أمام ماجد غير تصرف وحيد فصرخ في حسناء: ألقي بنفسك على الأرض واحتمي خلف الأشجار.

وفي اللحظة التالية التقط بعض الأغصان المشتعلة من أحد الأكوام الثلاثة، ثم طوحها بكل عنف داخل الطائرة الحربية الضخمة وفوق قنابلها صائحاً: إنها ليلة الألعاب النارية، فتقبلوا المزيد منها أيها الأوغاد مع تحياتي!

وما كادت النار تمس القنابل داخل الطائرة حتى دوى انفجار هائل رهيب، وتناثرت الطائرة الحربية الضخمة

بحمولتها من القنابل إلى أشلاء. . وخلال لحظة واحدة تحوّل المكان إلى جحيم!

* * *

المطاردة القاتلة

دوت الانفجارات المتتالية في صوت رهيب لتطيح بكل من تجده في طريقها، فأمسكت بباقي مساكن القرية والأشجار وبطاريات الصواريخ، وحتى بعدد من محاربي «الماساى» الذين صرخ بقيتهم في هلع وهم يشاهدون ذلك الجحيم المتفجر، واندفعوا هاربين في كل اتجاه. على حين ألقى «إسحاق» «وراشيل» بنفسهما خلف بعض الصخور يحتميان من الانفجارات المتتالية.

وصارت الفرصة مهيأة لماجد للهرب، فغامر وسط الانفجارات والنار الهائلة واندفع نحو حسناء وهو يجذبها من يديها قائلاً: هيا بنا ننتهز الفرصة لمغادرة هذا الجحيم.

ولكنها أجابته باكية: إنني لا أقدر حتى الوقوف على قدميّ لشدة ضعفي وإصابتي.

قطب ماجد حاجبيه قائلاً : حسناً . . ليس أمامنا غير حل وحيد .

وحمل ماجد حسناء فوق كتفه ثم اندفع إلى قلب الغابة وشرع يخترقها وهو لا يكاد يرى تحت قدميه بسبب الظلام الشديد .

وصرخ «سامنجو» من الخلف في محاربيه : أسرعوا بالقبض على الهاربين وقتلهما .

ولكن المحاربين انشغلوا بالهرب من النيران في كل اتجاه دون ان يهتموا بإجابته .

وسار ماجد على غير هدى وهو لا يدري الاتجاه الذي يقطعه ، ولكن فجأة جاء صوت من الخلف فوقف ماجد متأهباً بمدفعه الرشاش ، ولكن القادم كان حيواناً صغيراً ضئيل الحجم ، استطاعت عينا ماجد تمييزه برغم الظلام ، وهتف في سرور واضح : إنه صديقنا الصغير «دودى»!

واقبل القرد وهو يقفز في سرور ويتعلق بكتف ماجد مصفقاً في حماس كأنه يعلن له عن فرحته لما لحق بمتوحشي «الماساى» . ثم قفز إلى الأرض وجذب ذراع ماجد نحو طريق

خاص داخل الغابة، فقال ماجد لحسناء: يبدو أن القرد الصغير قد أدرك ورطتنا داخل هذه الغابة ويريد أن يأخذنا إلى مكان ما.. وبالطبع فليس أمامنا خيار أفضل!

وبعد وقت من السير ظهرت بقعة من الأرض تخفيها بعض الأشجار عن العيون، وقد تجمع في قلبها عدد من أتباع الزعيم «كيكو»، الذين ما أن شاهدوا ماجد حتى تقدموا مرحبين به في حماس.

وتقدم ماجد من البقعة التي لا يضيئها غير لهب شعلة صغيرة لكي لا تفضح المكان بنورها، فوجد الزعيم «كيكو» راقداً على الأرض في إعياء وقد ظهرت اصابته واضحة، فسأله ماجد في قلق: ما الذي حدث لك أيها الزعيم؟

أجابه زعيم «الماساى» العجوز: لقد هاجمنا مقاتلو «سامنجو» بعد رحيلك وأشعلوا النار في قريتنا وقتلوا أغلب سكانها ولم ينج من المذبحة غير بعض رجالي، ولولا أنهم سارعوا بعلاجي من اصابتي لمت أيضاً، وبعدها اضطررنا للهرب والإختفاء في هذا المكان.

تقلصت ملامح ماجد في غضب شديد وقال: هؤلاء المجرمون، يبدو أنه لا نهاية لشرهم.

كيكو : إنني لا أصدق أنك نجوت من شرهم وعدت إلى تلك الغابات ثانية .

أجابه ماجد في صوت صارم قاس : لقد عدت لكي أطهر هذه الغابات من هؤلاء الأشرار ، ولن اغادرها قبل أن أفعل ذلك!

هز «كيكو» رأسه في يأس قائلاً : لا فائدة يا ولدي فإنهم آلاف من المقاتلين وأنت رجل واحد ، ومهما كانت كفاءتك وشجاعتك فلن تقدر على هزيمتهم ، فنحن في حاجة إلى جيش جرار ليقوم بذلك .

التمعت عينا ماجد ببريق غاضب ، وقال : فلنرَ كيف ستكون النهاية .

وضاقت عيناه وهو يسأل الزعيم العجوز : هل ترغب في أن تستعيد زعامة قبيلتك ليسودها الخير والسلام مرة اخرى؟

«كيكو»: إنني أتمنى ذلك .

ماجد : إذن عليك أن تقوم بتنفيذ كل ما أطلبه منك ، فأولاً لا بد من تعاونكم معي في هذا الأمر ، بأن يتجمع كل أتباعك في هذا المكان انتظاراً لإشارتي ، على أن يتسلحوا بكل ما

تصل إليه أيديهم من أسلحة، وسأذهب أنا في مهمة عاجلة سأعود منها في الفجر، وأرجو خلال ذلك أن تقوموا برعاية رفيقتي وعلاجها من جروحها.

«كيكو»: سوف نفعل ذلك فأذهب يا ولدي على بركة الله وفي حمايته.

ماجد: ولكنني في حاجة إلى رفيق يعرف طريقه جيداً داخل الغابة في الظلام.

وأشار ماجد إلى القرد «دودى» الذي قفز إلى كتفه كأنه فهم المهمة المطلوبة منه. وخطا ماجد إلى قلب الغابة وابتلعه الظلام سريعاً، فرفع الزعيم «كيكو» عينيه إلى السماء هاتفاً: ليرعَك الله يا ولدي، ويكون خلاص قبيلتنا على يديك أيها العربي الأصيل.

* * *

ومرت ساعات الليل بطيئة متأنية..

ومع لحظات الفجر الأولى ظهر ماجد وفوق شفتيه ابتسامة غامضة دون أن يفصح عما قام به، واستقبله أتباع الزعيم «كيكو» في حماس وقد تجمعوا حتى وصل عددهم إلى المائة،

وتسلحوا بكل ما وصلت إليه أيديهم من حراب وأقواس وبلط وفؤوس ، أما حسناء فاستعادت الكثير من قواها الخائرة بعد علاج جروحها بالأعشاب البرية التي خففت آلامها كثيراً ، فاستقبلت ماجد بابتسامة رقيقة تفيض بالشكر ، فربت على يديها مشجعاً وهو يقول لها : سوف تنتهي هذه المحنة قريباً بإذن الله وسنعود إلى وطننا .

وسأل الزعيم «كيكو» لماجد : ما الذي تنوي أن تفعله الآن؟

أجابه ماجد : يجب استدراج محاربي «سامنجو» لكي يهتدوا إلى مكاننا!

هتف «كيكو» في قلق ودهشة : ماذا تقول . . هذه مخاطرة جنونية ، فنحن لا نستطيع مواجهتهم .

ماجد : ذلك جزء من خطتي ، وهي مخاطرة أعرف أنها جنونية تماماً ولكن لا بديل أمامنا غيرها ، فإن كنا لا نستطيع التغلب على محاربي «سامنجو» بالقوة فلنهزمهم بالذكاء والحيلة ، فلا تخش شيئاً ، بل عليك ان تنفذ ما أطلبه منك وأن تثق بي أيها الزعيم .

فهمس «كيكو» : إنني أثق بك تماماً ، فقد أثبتت لي

الحوادث أنك شخص يمكن الإعتماد عليه.

ماجد: حسناً.. عليك أن تأمر بعض رجالك بالاتجاه نحو مكان قرية «سامنجو» ومشاكسة محاربيه ليسعوا إلى مطاردتهم داخل الغابة إلى هذا المكان، وليتركوا الباقي لي.

مرت لحظة صمت قصيرة وقطب الزعيم «كيكو» حاجبيه في تفكير عميق، ثم التفت إلى ماجد أخيراً وقال له: ليس أمامي غير تنفيذ ما تطلبه مني.

والتفت «كيكو» إلى محاربيه وراح يحدثهم بلغة «الماساى»، فهز المحاربون رؤوسهم في شجاعة موافقين دون سؤال، ثم انطلقوا إلى قلب الغابة لتنفيذ المهمة.

وتثاءب ماجد وهو يقول: إنني في حاجة إلى بعض الراحة، فمنذ يومين لم أغمض عيني على الإطلاق، وأنا في حاجة إلى قدر ضئيل من النوم لأستعيد نشاطي وحيويتي.

وتمدد ماجد فوق بعض الأعشاب وغرق في النوم وحسناء تراقبه في صمت واشفاق.

وقبل أن تمر ساعتان علا صوت صراخ وحشي وضجيج، فانتفض ماجد واقفاً وقد استيقظ تماماً دون أن ينبهه إنسان،

وشاهد على مسافة محاربي الزعيم «كيكو» يطاردهم من الخلف مئات من محاربي «سامنجو» فغمغم قائلاً : لقد حانت اللحظة المناسبة .

واستدار إلى الزعيم «كيكو» قائلاً : عليك بانتظاري مع رجالك في هذا المكان لحين عودتي .

ودون أن ينتظر رداً قفز إلى قلب الغابة ، واشهر مدفعه الرشاش واطلقه في الهواء فاجتذب صوته محاربي «سامنجو» ، وما أن شاهدوا ماجد حتى أطلقوا صرخات وحشية ثم اندفعوا خلفه في مطاردة قاتلة . . وانطلق القرد الصغير «دودى» خلف ماجد قافزاً فوق الأشجار ليشاهد ما سوف تنتهي إليه المطاردة القاتلة بأسفل .

وغمغم الزعيم «كيكو» في ذهول وهو يراقب المطاردة الجهنمية : إنني لا أفهم شيئاً مما يحدث لهذا الشاب ، فهو يقوم بعمل جنوني أشبه بمحاولة انتحار ولست أفهم سر ما يفعله .

وأطرق برأسه في حزن مرير . . وقد صار لديه يقين بأن ماجد لن يتمكن من النجاة من مطارديه ولو كانت له قوة فيل وجرأة نمر !

جحيم الغوريلات

استمرت المطاردة وقتاً داخل الغابة وماجد يسبق مطارديه بمسافة ، وفي بقعة خاصة داخل الغابة تسلق إحدى الأشجار وكمن بين أغصانها فقفز «دودى» فوق كتفه وانتظر في سكون .

وأقبل محاربو «الماساى» شاهرين أسلحتهم ، واندفعوا إلى المكان وهم يطلقون صرخاتهم الوحشية .

ولكنهم ما كادوا يطأون أرض المكان حتى دوت انفجارات شديدة من الألغام المدفونة تحت أقدامهم ، وسقط بعضهم جريحاً ، وصرخ الآخرون من الفزع واندفعوا هاربين في كل اتجاه ، كما تسلق قسم منهم رؤوس الأشجار كأنما يطاردهم الشيطان .

وأطلق «دودى» ضحكة صاخبة عالية وهو يشاهد ما حل بالمحاربين ، فالتفت إليه ماجد باسماً وهو يقول : لقد كانت فكرة إزالة علامات تحديد أماكن حقول الألغام داخل الغابة رائعة ، وكان من السهل بعدها استدراج هؤلاء الأشرار إلى حقول الألغام دون أن يدروا بحقيقتها . . والآن علينا تنفيذ الجزء الثاني من المهمة .

وقفز ماجد إلى الأرض بعيداً عن حقول الألغام واتجه غرباً ، فتبعه «دودى» في خوف وقد أدرك أن صاحبه يقوده إلى أرض الغوريلا . وصرخ القرد الصغير في ماجد محذراً ولكن «رجل المهام الصعبة» واصل تقدمه دون أن يلتفت لتحذيره .

وظهرت أخيراً أرض الغوريلا التي تجمعت فيها بالمئات وقد رقدت في الأرض في تكاسل ، أو راحت تتشاجر بعضها مع البعض دون سبب ، مطلقة صيحات عدائية مخيفة . على حين رقد زعيم الغوريللا فوق بقعة ظليلة يلتهم الموز من سباطة كبيرة معه وهو يراقب بقية الغوريلات في كسل وتراخ ودون اهتمام .

وأمسك ماجد بمدفعه الرشاش وصوبه إلى زعيم الغوريللا وهو يقول : إنني مضطر لبعض المشاكسة أيها القرد الكبير . . وأرجو أن تثير رصاصاتي فزعك بالقدر المطلوب!

وأطلق ماجد الرصاص من مدفعه فأطاح بسباطة الموز من يدي زعيم الغوريللا الذي قفز من مكانه صارخاً لشدة ذعره بسبب الطلقات المفاجئة ، وما أن لمح القرد الضخم ماجد فوق شجرة قريبة حتى أطلق صراخاً وحشياً غاضباً .

وكان صراخه كافياً لجعل الغوريللات تشرع في مطاردة ماجد مطلقة صرخات وحشية جنونية .

وصرخ القرد الصغير «دودى» بدوره في رعب هائل وهو يشاهد هجوم الغوريللات وانطلق هارباً للنجاة بحياته تاركاً ماجد يواجه مصيره القاسي وحده!

ولكن كل شيء كان محسوباً بالنسبة «لرجل المهام الصعبة» . . فقفز فوق رؤوس الأشجار بكل سرعته ليغادر المكان . . وانطلقت الغوريللات خلفه بقيادة زعيمها الثائر الغاضب إلى حد الجنون .

واستمرت المطاردة وقتاً وكلما أوشكت الغوريللات على

اللحاق بماجد والإمساك به لتمزيقه، عاجلها بطلقات في الهواء تفزعها فتختفي في أماكنها، فيسرع ماجد بمواصلة الهرب لتنطلق الغوريللات خلفه ثانية في مطاردة جهنمية.

وأخيراً وصل ماجد الى بغيته، مكان ساحة قرية «سامنجو» التي تحولت بفعل الانفجار والحريق إلى رماد، وكان في المكان مئات من أتباع «سامنجو» المحاربين وقد وقفوا في صفوف عديدة، «وإسحاق موردخاى» «وراشيل ديان» واقفان أمامهم في غضب هائل وصرخ إسحاق في «سامنجو»: عليك أن تمسك بهذا الشيطان اللعين بأي ثمن. فلو أننا لم نقبض عليه ونعود به إلى وطننا حياً أو ميتاً فسينهار كل شيء.

وصرخت «راشيل»: إنهم سيقتلوننا في بلادنا لو لم نعد بهذا الشيطان الذي أفسد علينا كل شيء.

قال «سامنجو» في حقد: إنني أرغب في القبض عليه أكثر منكما، فقد خدع رجالي وقام بإزالة علامات حقول الألغام فتحولت أرض الغابة إلى مصيدة بالنسبة لنا، ولكني مع ذلك لن أتوانى عن إرسال المزيد من الرجال للقبض عليه ولو سقطوا جميعاً قتلى.

ثم التفت إلى محاربيه صارخاً: عليكم أن تمسكوا بهذا الشيطان وتأتوني به حياً.. فإنني أريد تمزيقه باظافري انتقاماً منه لما فعله بنا.

ولكن ماجد قفز من قلب الأشجار إلى اطراف الساحة المحترقة قائلاً في سخرية: لقد جئتك بنفسي يا عزيزي لأوفر على رجالك متاعب مطاردتي.

وما كاد إسحاق يلمح ماجد حتى غمغم في ذهول: يا لجرأتك لتعود هنا ثانية بقدميك؟

وصرخ سامنجو في رجاله: اقبضوا عليه.. أريده حياً.

ولكن ما كاد محاربو «الماساى» يندفعون نحو ماجد حتى كان هجوم آخر قد تم شنه من الخلف.. فقد اندفعت الغوريللات المجنونة التي طاردت ماجد واستدرجها إلى ساحة القرية، لتنقض على محاربي «سامنجو» في جنون وتدور بينها معركة وحشية، على حين التفتت «راشيل» صوب ماجد في ذهول أقرب إلى الجنون قائلة: كيف أمكنك استدراج هذه الغوريللات إلى هنا؟

فأجابها ماجد ساخراً: لقد أغريتها ببضع طلقات من الرصاص، وأنت تعرفين أن القرود مهما كانت ضخامتها فهي

لا تملك حتى عقل طفل، ومن ثم انساقت خلفي إلى هذا المكان لترد الإهانة، ومن سوء الحظ أنها لم تجد في طريقها غير هؤلاء المتوحشين من محاربي «سامنجو»!

وتراجع ماجد إلى الخلف وقفز بين الأشجار تاركاً ساحة المعركة في اللحظة المناسبة، واختفى في قلب الغابة تاركاً محاربي «الماساى» لمصير قاسٍ بين أظافر وأنياب الغوريللات المتوحشة، الثائرة إلى حد الجنون!

أما «إسحاق موردخاى» «وراشيل ديان» فقد اسرعا إلى طائرة «سامنجو» الهليكوبتر وارتفعا بها في السماء هاربين من جحيم الغوريللات!

* * *

النهاية الدامية

عندما شاهد الزعيم العجوز «كيكو» ماجد لم يصدق عينيه وهتف به في ذهول : يا إلهي . . لا يمكنني أن أصدق عودتك سالماً ، فبعد أن عاد قردي الصغير عرفت من صرخاته وإشاراته أن الغـوريللات المتـوحـشـة قد انطلقت خلفك في مطاردة مجنونة .

أجابه ماجد باسماً : لقد قدت الغوريللات إلى مكان تطفئ فيـه ثورة غـضبـها . . وعندما نعود إلى هذا المكان سنجد كل شيء على ما يرام!

قال الزعيم في حيرة : إنني لا أدري عما تتحدث؟

ماجد : سوف يتضح لك كل شيء بعد قليل . . والآن هل تقدر على السير؟

كيكو : نعم فقد استعدت الكثير من قواي .

ماجد: إذن هيا بنا، وليصحبنا كل أتباعك، فقد حان أوان عودتك إلى زعامة قبيلة «الماساى».

غمغم «كيكو» في ذهول: إنني لا أفهم شيئاً.. لماذا لا تشرح لي؟

فأخبره ماجد بكل ما قام به خلال الساعات الماضية، وأنهى حديثه قائلاً: ولا شك أن الغوريللات المتوحشة الآن قامت بمهمتها خير قيام بعد أن حولت المكان إلى جحيم.

فحدّق الزعيم «كيكو» في ماجد غير مصدق قائلاً: أنت فعلت كل ذلك.. لقد كدت أفقد الأمل في عودة السلام والأمان إلى قبيلتي والغابة، ولكن الله قادر على كل شيء.

وربت «كيكو» على كتف ماجد قائلاً: لقد قمت بعمل عظيم سيذكره لك شعب «الماساى» دائماً.. والآن فلنسرع إلى سامنجو وما تبقى من رجاله وننتهز فرصة اضطرابهم وما حل بهم لمقاتلتهم، والقبض على ما تبقى منهم.

وصاح «كيكو» في رجاله يأمرهم بالاستعداد للمهمة التالية، واقترب ماجد من حسناء التي استعادت حيويتها وصحتها وسألها في رقة: هل أنت على ما يرام؟

فأجابته وعيناها تفيضان بالإعجاب قائلة: لم أكن أتخيل

أن القدر يمكن أن يلقي في حياتي الهادئة بشخص مثلك .

أجابها ماجد باسماً : للقدر أحياناً تصرفات عجيبة . . ومنها أن أكون أنا من يحرر قبيلة في قلب الغابات من زعيم شرير ليعيد إليها الأمان والسلام .

وهتف الزعيم « كيكو » وقد تسلح بحربة طويلة : والآن هيا بنا .

واستغرق الوصول إلى قرية «سامنجو» وقتاً قليلاً . . وهناك لم تكن أي آثار للغوريللات الضخمة التي عادت لأرضها بعد أن قامت بعملها تاركة العشرات من محاربي «سامنجو» ممددين على الأرض جرحى ، والقليل منهم نجا من الغوريللات. وما أن شاهد «سامنجو» الزعيم « كيكو » ومحاربيه حتى صرخ في رجاله : اقتلوا هذا العجوز ورجاله .

ولكن أحد مقاتليه صرخ فيه في غضب وحشي : كفى قتلاً وتدميراً أيها الوحش . . لقد دفعنا ثمناً غالياً لشرورك وأطماعك وحلت علينا اللعنة والخراب ، والآن حان دورك لكي تدفع الثمن أيضاً!

وقبل أن يتمكن أحد من أن يفعل شيئاً ، أغمد المحارب حربته في صدر «سامنجو» مكان القلب تماماً . . فجحظت عينا

الزنجي الشرير. . ثم تهاوى على الأرض دون حراك!

وأقبل بقية محاربي «سامنجو» رافعي الأيدي يطلبون السماح من الزعيم «كيكو». فتأملهم لحظة ثم قال لهم: لقد عفوت عنكم فلا حاجة لنا بالمزيد من سفك الدماء، ولقد تعلمنا جميعاً درساً قاسياً مما حدث، وهو أن نقتلع بذرة الشر في مهدها ولا نتركها حتى تتوحش ويصعب مواجهتها.

وأشار «كيكو» إلى رجاله فراحوا يداوون الجرحى الذي امتلأ بهم المكان، ثم التفت إلى ماجد قائلاً: لا أدري كيف أقدم لك شكري. . والحمدلله أن تخلصت غابتنا من شرها وسوف تعود كما كانت آمنة طيبة.

ثم قطب حاجبيه في قلق قائلاً: ولكن لا أدري كيف سيتعرف رجالي على أماكن حقول الألغام لانتزاعها منها حتى لا يصيبهم منها أي ضرر؟

ماجد: لقد وضعت علامات خاصة بأماكن تلك الحقول، وحالما أعود إلى «نيروبي» سأرسل عدداً من قواتنا الخاصة لإزالة هذه الألغام، وأرجو أن يكون ذلك بداية تعاون طيب بيننا، وألا تكون هناك فرصة للموساد لكي تنفث شرورها مرة أخرى في قلب هذه الغابة الطيبة.

وما كاد ماجد ينهي عبارته حتى دوى أزيز في الفضاء . .
ازيز طائرة هليكوبتر .

كانت هي طائرة «سامنجو» . . وظهر في مقدمتها شخصان قد أشهرا مدافعهما الرشاشة وراحا يطلقان آلاف الرصاصات في المكان .

وصرخ «كيكو» في رجاله : أسرعوا بالإحتماء من هذين الشيطانين .

فتدافع المحاربون يختفون في قلب الأشجار ، وخلت الساحة منهم ، فحلقت الهليكوبتر فوق الساحة ثم هبطت في قلبها وقفز «إسحاق» «وراشيل» منها شاهرين مدفعيهما الرشاشين كذئبين مفترسين . وفي شجاعة تقدم ماجد منهما قائلاً : لحسن الحظ أنكما عدتما ولم تبادرا بالهرب . . فهناك حساب قديم بيننا يجب تصفيته .

غمغم إسحاق في حقد قائلاً : نعم هناك حساب يجب تصفيته . . ولكنك أنت من سيدفع الثمن . . فقد أفشلت كل مخططاتنا في هذه الغابة التي أنفقنا عليها مئات الملايين . . وجعلتنا نبدو كأطفال أغبياء تفعل بهم ما تشاء .

واضاف وعيناه تقدحان بالشرر :

والآن لم يعد أمامنا غير خيار وحيد لنستعيد بعض ما فقدناه . . فإما أن نحملك حياً إلى بلادنا مقيداً ذليلاً ، وإما أن نقتلك ونحمل جثتك معنا إلى هناك ليصفح رؤساؤنا عنا وعما لاقيناه من هزائم بسببك أيها الشيطان .

ارتسمت ابتسامة قاسية على وجه ماجد وقال لغريمه : حسنا . . لماذا لا تريني شجاعتك وتحاول القبض علي؟

جز إسحاق على أسنانه قائلاً : سوف أفعل ذلك بكل تأكيد .

وتقدم نحو ماجد شاهراً مدفعه الرشاش وخلفه «راشيل» تحمي ظهره . . وتحرك اصبع «إسحاق» على زناد مدفعه الرشاش قائلاً لماجد : هيا تحرك إلى طائرتنا وإلا أفرغت في صدرك رصاصاتي .

فتحرك ماجد في بطء وقد ارتسمت في عينيه نظرة باردة لا مشاعر فيها . كان يفصله عن ضابط «الموساد» أكثر من ثلاثة أمتار وكانت أقل حركة منه كفيلة بأن يطلق عليه «إسحاق» الرصاص دون رحمة . ولكن وبحركة خاطفة نثر ماجد بعض الرماد المحترق بقدميه في وجه إسحاق الذي عميت عيناه من الرؤية في لحظة قصيرة . . وفي اللحظة التالية كان ماجد يقفز وراءه ليطوقه من الخلف .

وانطلقت رصاصات «راشيل» صوب ماجد. . ولكنها أصابت كلها جسد «إسحاق» الذي احتمى ماجد خلفه. . وجحظت عينا «راشيل» وهي لا تصدق ما فعلته. . وبدأ عليها الجنون ولم يكن أمامها غير خيار وحيد وهي تشاهد عشرات من أتباع الزعيم «كيكو» يظهرون من خلف الأشجار ويحيطون بها وفي عيونهم نظرات غضب هائلة.

وقبل أن يتمكن إنسان من منعها صوبت «راشيل» مدفعها الرشاش نحو قلبها. . ثم أطلقت الرصاص!!

* * *

صافح ماجد الزعيم «كيكو» الذي احتضنه في ود وقد اغرورقت عيناه الدموع وهو يقول: إننا لن ننسى أبداً ما قدمته لشعبنا وقبيلتنا. . ولقد أثبت لنا أن العربي الأصيل لا يتوانى عن تقديم المساعدة لمن يحتاجها ولو خاطر بحياته في ذلك.

ماجد: سوف أحمل ذكريات طيبة عن هذا المكان دائماً. . وحالما أصل إلى «نيروبي» فسوف أبعث برجال قواتنا الخاصة لإزالة الألغام من الغابة.

كيكو: أما نحن فسنعتبر القبر الذي دفنا فيه ضابطي الموساد

في الغابة شاهداً على كل الكوارث التي حاقت بشعبنا بسبب التعاون مع بلاد هذين الشريرين . . ولسوف نعيد تعمير قرانا وكل ما خربته الأحداث السابقة ونطوي تلك الصفحة من حياتنا .

وصعد ماجد وحسناء إلى طائرة الهليكوبتر الرابضة في قلب الساحة . . ودارت مراوحها ثم ارتفعت عالياً وشعب قبيلة «الماساى» يلوحون بأيديهم للطائرة وراكبيها . واندفعت الهليكوبتر تحلق فوق الغابة وتأخذ طريقها شرقاً . . صوب العاصمة «نيروبي» .

ومسحت حسناء دمعة ترقرقت في مقلتيها وهي تتذكر كل الأحداث الماضية ، ورنت بعينها إلى ماجد قائلة : لا أصدق أن ذلك الكابوس قد انتهى أخيراً .

فقال لها ماجد مهوّناً : لقد انتهى كل شيء ، ولن تعرف الدموع طريقها إلى عينيك بعد ذلك أبداً .

حسناء : إنني مدينة لك بحياتي ، فقد خاطرت بحياتك لأجل استعادتي حية من أيدي هؤلاء الاشرار .

ماجد : وهل كنت تتخيلين أن وطنك يمكن أن يتخلى عنك وأنت التي كدت تقدمين حياتك عن طيب خاطر حماية

له . . إنني لم أفعل غير الواجب . . فبلادنا لا تتخلى عن أبنائها الأوفياء أبداً ، ولم أكن أنا غير أداة في الوطن ، ورهن إشارته دائماً .

وضاقت عينا ماجد وهو يضيف : لقد كانت «الموساد» في حاجة إلى درس قاسٍ حتى تتوقف عن محاولاتها إثارة المتاعب ضدنا . . ولقد أعطيتها هذا الدرس . . ولا شك أنه ستكون هناك جولة قادمة أعنف وأشد هولاً . . عندما يتعين تدمير ما شيدوه من خط أنابيب لسرقة مياه نهرنا ونقلها إلى بلادهم .

واكتسب صوته لهجة حادة قاسية وهو يقول : ولن يقوم أحد بهذه المهمة غيري!

وأطلق لطائرته العنان . . كأنه يتعجل جولة القتال التالية!

* * *

الفهرس

العملية القادمة :

كاهن الشر

رجل صيني عجيب غامض، أينما يذهب يحل الخراب والدمار.. له قوة غير عادية واتباعه العديدون بالآلاف..

ولكن ذلك الكاهن البوذي يقترف أخيراً ما يثير المخابرات المصرية ضدّه، فترسل إليه برجل المهام الصعبة من أجل هدف وحيد، وهو التخلص منه..

فهل ينجح ماجد شريف في ذلك؟

هذه العملية :

تـأليف : مَجـدي صَـابر

الخدعة القاتلة

يسقط رجل المهام الصعبة أسيراً في قبضة قبائل «الماساى» والموساد.. ولكنه يتمكن من الهرب عبر الغابات المتوحشة مع حسناء.. وعندما يصل الى «نيروبي» أخيراً تنكشف الخدعة القاتلة..

فهل ينجو ماجد شريف منها؟

دار الجيل
بيروت
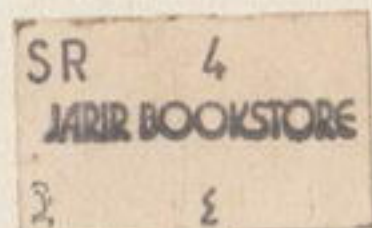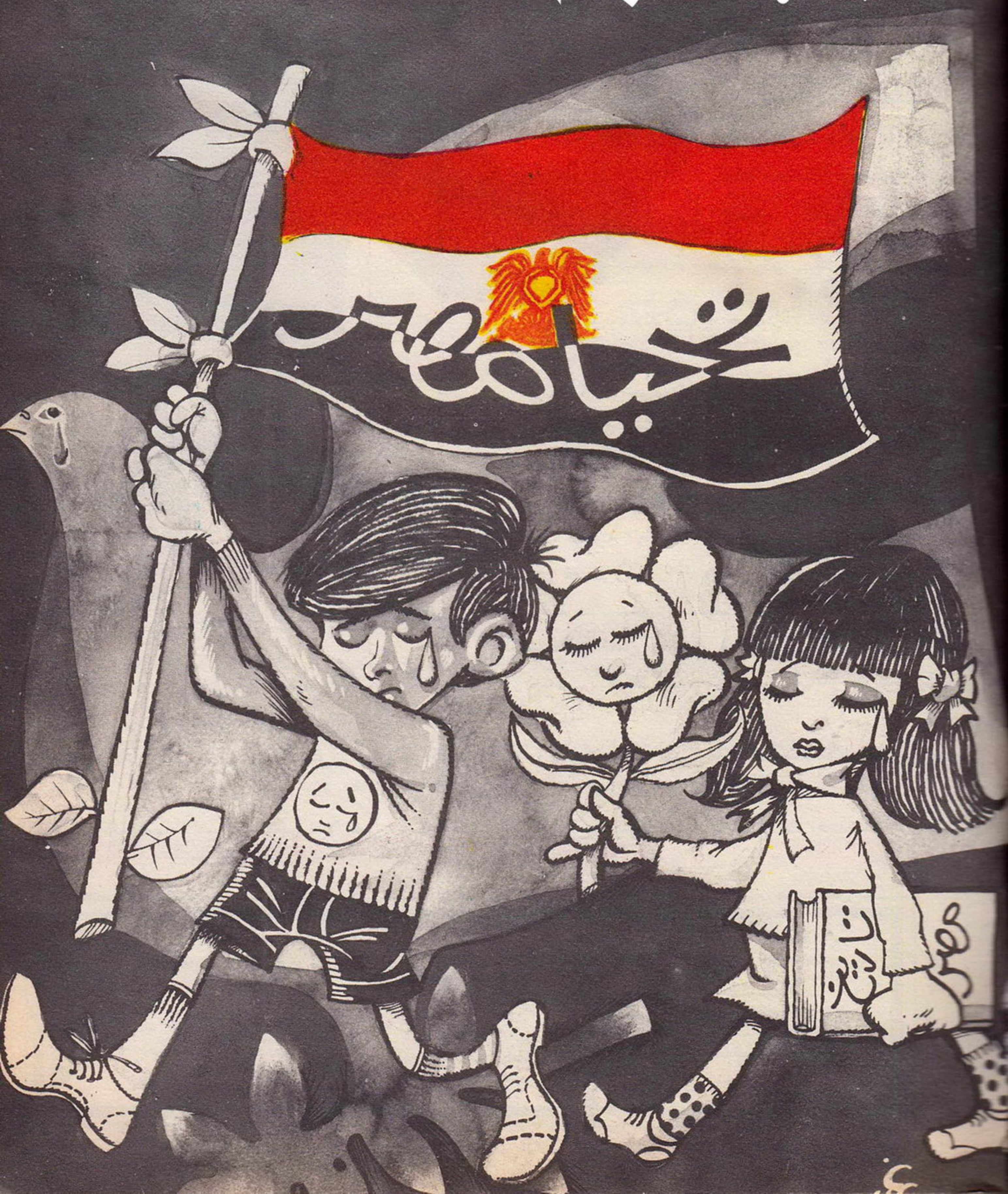
Arab Comics.net
و بلو بيرد
عرب كوميكس
M.Raafat
تحيا مصر

١٦
سلسلة رجل المهام الصعبة
الخدعة القاتلة
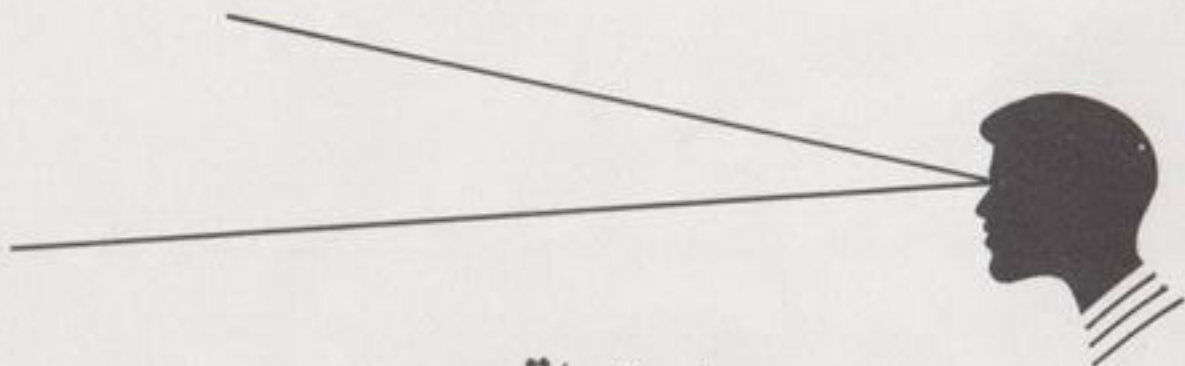
الخدعة القاتلة

سِلسلة
رَجُل المَهام الصَّعبة

المغامرة السادسة عشرة

الخدعة القاتلة

تأليف : مَجدي صَابر

دار الجيل
بيروت

رجل المهام الصعبة:

إنها سلسلة جديدة حافلة بالاثارة والمغامرة نقدّمها لك أيها القارئ العربي الكريم..

ففي ظل عالم بات يعتمد كثيراً على أجهزة مخابراته ووسائلها السرية لتحقيق أهدافه.. وفي ظل ما يسمى بحرب المخابرات السرية.. وفي ظل أقصى درجة من المهارة والذكاء يبرز اسم «ماجد شريف».. فهو طراز جديد فريد لا مثيل له في عالم المخابرات..

وإذا كان «جيمس بوند» هو أسطورة الغرب في دنيا المخابرات.. فإن «ماجد شريف» هو الأسطورة القادمة من الشرق.. من الوطن العربي الكبير..

فهو الرجل الذي لا يقهر.. والذي يدخره رؤساؤه للحظة الأخيرة.. حيث لا يكون هناك حل آخر غير «ماجد شريف»..

ولم يحدث أن خيّب «ماجد» أمل رؤسائه فيه أبداً..

في قبضة الموساد

تصاعدت رائحة شواء الغزال البري عالياً كأشهى ما تكون في قلب ساحة القرية، التي امتلأت بالمحاربين الأشداء من قبيلة «الماساى»[1].

ورفع «سامنجو» كأساً بلورية بها سائل أحمر داكن وقرعها بكأس محدثه قائلاً: في صحتك.

ثم جرع الكأس العامرة بدماء الغزال الساخنة، وتألقت عيناه بوميض وحشي كحيوان مفترس، ومسح القطرات الحمراء التي سالت على جانبي فمه وهو يقول: إن هذه الدماء تمنح الصحة والقوة وطول العمر لمن يشربها.

---

(١) اقرأ بداية هذه القصة في المغامرة السابقة «أرض الشر».

فتأمله محدثه الجالس أمامه في قلب ساحة القرية الواسعة وسط الأدغال في ازدراء، وتحسس مسدسه «البرتا» السريع الطلقات وهو يقول بصوت يحمل رائحة سخرية وتهكم : يا عزيزي ما دمنا في صفك فتأكد من أنك ستعيش طويلاً . . أطول مما يعيش إنسان آخر في قلب هذه الغابات النائية . . فعندما تتكفل الموساد بحماية شخص ما ، لا يستطيع إنسان على وجه الأرض أن يصيبه بأذى!

ودفع الكولونيل «إسحاق موردخاى» كأسه ليرتشفه على مهل وفي تلذذ ، ثم انحرف بعينيه تجاه قلب الساحة ، حيث كانت حسناء مقيدة اليدين والقدمين إلى جذع شجرة خشبي ، وقد سالت الدماء من معصميها وبان على وجهها آثار التعذيب والقسوة الوحشية ، ورأسها منكس في إغماءة طويلة .

وعاد الكولونيل «إسحاق» ببصره إلى زعيم «الماساى» قائلاً بوجه مقطّب حانق : لقد أبدت هذه الفتاة شجاعة فائقة غير متصورة وكنت أظن أن قليلاً من التعذيب سيحل لسانها ، ولكن أولئك المصريين والعرب يدهشونني بقدراتهم الغريبة التي تظهر وقت الصعاب .

هتف «سامنجو» في حماس : لو أنك تركتها لي لعرفت

كيف أجعلها تنطق بما نريده فوراً ، فإن لي وسائلي الخاصة القادرة على إنطاق الأخرس!

أشاح «إسحاق» يده في ازدراء قائلاً : إن وسائلك البدائية لن تفيد إلا في قتلها ، وهو أمر لا يمكننا أن نخاطر به على الإطلاق . . ولقد أرسلت إلى بلادي ليبعثوا لي بعقار الصدق ، وسيصل إلينا خلال ساعات قليلة ، وهذا العقار كفيل بحل عقدة هذه الفتاة فتخبرنا بالمكان الذي أخفت فيه الوثائق والخرائط التي تكشف خط أنابيبنا ومشروعنا الضخم فلا يعود هناك أي خوف من وقوعها في أيدي المصريين ، واحتمال قيامهم بأي عمل تخريبي له .

وحدق في سامنجو بغضب شديد مضيفاً : إنك أنت السبب في تلك الورطة التي نعاني منها الآن ، ولو لم يقم ذلك العميل المصري «سليم العدوى» بسرقتها منك ، لما عانينا كل هذه المتاعب!

قذف «سامنجو» كأسه بعيداً وهبَّ واقفاً وهو يقول بعينين دمويتين : لا تنس من تحدث . . إنني هنا زعيم قبائل «الماساى»!

فأجابه الكولونيل «إسحاق» ساخراً: وعليك ايضاً أن تتذكر أنه لولا مساندتنا والأسلحة التي منحناها لك وملأت اكواخك بها، ما أمكنك الإستيلاء على القبيلة وهزيمة أعوان الزعيم «كيكو».

وأشار إلى عدد من بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات على حدود القرية قائلاً: وهذه البطاريات إنها تمنحك حماية أيضاً من جيش بلادك لكي لا تحاول اقتحام قبيلتك بالطائرات.. وبهذا ترى أننا قدمنا لك حماية كاملة، وبدوننا لا يمكنك أن تظل مكانك ساعة واحدة!

فصمت «سامنجو» وهو يحاول كبت مشاعره، ثم التفت الى ضابط «الموساد» قائلاً: أنا لا أنكر ما قدمتموه لي من حماية.. وأعترف أننا أخطأنا بشأن إهمالنا الذي أدى إلى سرقة تلك الوثائق والخرائط منا، ولكننا أصلحنا تلك الغلطة وقتلنا ذلك المصري الذي سرق الوثائق، وها نحن أولاء نوشك أن نعرف مكانها بعد أن نحقن تلك الفتاة بالعقار الذي سيجعلها تنطق بالصدق وتخبرنا أين أخفت تلك الخرائط والوثائق.

وارتسمت في وجهه نظرة خبيثة ماكرة، نظرة ذئب يعرف متى يستخدم أنيابه جيداً، وقال لمحدثه: لا تنس أن ما حدث كانت له فائدة هائلة بالنسبة لكم، فبسبب اختطافنا لتلك الفتاة قمنا بالإيقاع بذلك الرجل الذي طالما تسبب في هزائم منكرة لكم، وجعل من ضباط الموساد مجموعة من الهواة الأغبياء بتفوقه عليكم كل مرة!

إسحاق: لقد انتهى زمن الهزائم، وانتهت أسطورة ذلك المصري، وأنا لا أنكر فضل محاربيك في القبض عليه، ولهذا فسأخبرهم هناك في بلادي بما فعلت لكي تتم مكافأتك على ذلك.

ودارت عينا ضابط «الموساد» في أنحاء الساحة، قبل أن تتوقف على شخص كان مقيداً من الخلف إلى عمود خشبي بقيود خشنة قوية، وقد تدلت رأسه لأسفل وتراخت ساقاه. وظهر أثر جرح عميق في كتفه، قد عولج ببعض المطهرات البدائية وترك أثراً غائراً.

ورمشت عينا الشخص المقيد بضعف قبل أن يسكن حركة الجفن ثانية. ولكن حركة العين دلت على أن صاحبها لا يزال

حياً برغم كل الآلام التي كان يعانيها جسده المنهك المريض الذي نزف الكثير من دمائه.

كان رجل المهام الصعبة «لا يزال حياً» برغم الحربة المسمومة التي أصابته في كتفه.

وجرع «إسحاق موردخاي» كأساً ثانية وهو يقول بابتهاج: لم أكن أظن يوماً أنني سأرى «رجل المهام الصعبة» في ذلك الموقف، بعد أن تيقنّا في بلادنا من أن الإيقاع به أشبه بمحاولة اصطياد بعض الرياح بقبضة اليد!

وسأل «سامنجو» في شك وقلق: لماذا أمرت بعلاج هذا الشاب من الجرح العميق والسم الذي أوشك أن يفتك به بذلك الترياق السحري الذي استعملته في الوقت المناسب، ولماذا طلبت منا الإبقاء عليه حياً؟

تلاعبت ابتسامة كريهة على وجه «إسحاق موردخاي» وأجاب: كان قتلنا لهذا الرجل مجرد نصر سريع بلا بهجة، ونحن عادة في بلادنا لا نحب الإنتصارات السريعة. أما الحفاظ على حياة هذا الرجل فيمنحنا الفرصة لنقله إلى بلادنا حياً ثم استقاء كل المعلومات المهمة التي يملكها عن بلاده، وجهاز مخابراتها، كل هذا سيفيدنا في عملنا دون شك

ويجعلنا قادرين على أن نوجّه للمصريين ضربات قاسية في هذا المجال . . أما السبب الأهم في الإبقاء على هذا الرجل حياً فهو أن نعرضه على شاشات تليفزيوننا والعالم كله ، ليعرف كل الناس أن «الموساد» لا تنهزم ابداً ، وليشاهدوا ذلك الثعلب المصري وهو في قبضة أيدينا لا حول له ولا قوة ، وأنه لم يكن أكثر من مجرد بالونة دعاية فارغة سوف تنفجر حالما نوخزها بدبوس صغير . . وبعد ذلك سنقدمه للمحاكمة التي ستحكم بإعدامه بالطبع لكثرة ما تسبب من خسائر وهزائم لبلادنا .

وفي صوت شيطاني أضاف : وبالطبع فسوف تثبت المحاكمة للعالم أننا شعب متحضر ، لم نشأ قتل أحد أعدائنا قبل إعطائه فرصة عادلة للدفاع عن نفسه . . فهذه هي ديموقراطيتنا التي نفاخر بها العالم كله!

وانطلق «إسحاق موردخاى» يضحك في سرور بالغ . . وراقبه «سامنجو» بإعجاب وتأكد له أنه لجأ إلى الطرف الأقوى الذي سيمكّنه من تحقيق حلمه في حكم بلاده بأكملها ، لينطلق بعدها ليحكم كل قلب أفريقيا ، ويصير زعيمها الأوحد ، وينشئ إمبراطورية خاصة .

وصلت الكلمات إلى ذهن ماجد المشوّش مبعثرة مشتتة لا رابط بينها. كان لا يزال يعاني من آلام هائلة، ودلته آلام كتفه على أنه لا يزال حياً، وأنه نجا بالفعل من إصابته ومن السم الذي أوشك على الفتك به. وعرف الحقيقة في إنقاذ حياته بعدما وصلته كلمات ضابط «الموساد».. وتأكد أن أوامر «الموساد» كانت إنقاذه، من أجل نقله إلى بلادها ليُعْرَضَ هناك مثل الحيوانات التي يعرضونها في السيرك!

وعضّ ماجد على شفتيه في قسوة، كان خائر القوة ويشعر بقيود يديه وقدميه القاسية تكاد تدميها.

وبذل مجهوداً مضاعفاً ليفتح عينيه فطالعته ساحة القرية الواسعة وسط الأدغال، وشاهد سكرتيرة السفارة حسناء مقيدة على مسافة منه فاقدة وعيها فتأملها في ألم، بعد أن التهبت جروحها بآلام التعذيب التي لاقتها دون أن ينطق لسانها بالسر.

لقد سقط هو ايضاً في الفخ!

وتحركت عينا ماجد صوب «سامنجو» وضابط «الموساد»، وما ان شاهده «إسحاق موردخاى» وقد فتح عينيه واستعاد

وعيه حتى هتف في سرور وسخرية : ها قد استيقظ بطلنا أخيراً من إغماءته لكي يشاهد بعينيه أي مصير سيٍّء ينتظره .

واقترب «إسحاق» من ماجد وتأمله في حقد و كراهية ، ثم غمغم في صوت حيواني : لقد سقطت في أيدينا أخيراً . . وفي مكان لا يخطر على بال في قلب الغابات . . وبعد قليل سنشحنك إلى بلادنا في قفص مع بعض القرود ، لتكون تسلية لشعبنا هناك . . وليعرف العالم كله أي مصير قد انتهى اليه «رجل المهام الصعبة»!

تمالك ماجد نفسه وبذل مجهوداً مضاعفاً لكي لا ينهار لشدة ضعفه ، وقال لضابط «الموساد» : المهم من يضحك أخيراً .

فقهقه «إسحاق» قائلاً : وهل تظن أنه لا تزال هناك جولات أخرى من القتال والمعارك بيننا . لقد انتهى كل شيء يا عزيزي . انتهى كل شيء . أم هل تظن نفسك «سوبرمان» لتقطع قيودك وتقاتل المئات والآلاف من محاربي «الماساى» وتنتصر عليهم . . فلا تدع الأوهام تخدعك يا عزيزي فهذه هي النهاية التي لا مهرب منها فلا تدّعي شجاعة زائفة .

قال ماجد ساخراً : إنك مثل بقية قومك . . لا تظهر شجاعتكم إلا أمام الأشخاص المقيدين!

أربد وجه «إسحاق» بغضب شديد ، وأمسك ماجد من شعر رأسه في كراهية عميقة وصاح به : إنك لا تزال تملك لساناً حاداً برغم كل ما تعانيه من آلام وجراح . . ولسوف أُخرس هذا اللسان بمزيد من الآلام أيها المصري الكريه .

ودق «إسحاق موردخاى» رأس ماجد بعنف في جذع الشجرة القوي خلفه عدة مرات حتى ظهرت بقعة من الدماء في جذع الشجرة مكان الرأس ، دون أن ينطق ماجد بآهة ألم واحدة ، برغم الآلام الشديدة التي أحسها في رأسه الجريح .

وعندما ترك ضابط «الموساد» رأس عدوه ، همس ماجد ساخراً نحوه برغم إعيائه البالغ : ألم أقل لك أنك مثل بقية قومك ، لا تظهر شجاعتكم إلا أمام الأشخاص المقيدين .

وفي صوت عميق بارد أضاف : وثق أني سأجعلك تعاني عشرات المرات أكثر مما عانيت أنا . . فمن يخدش ظفراً «لرجل المهام الصعبة» ، يكون عليه أن يدفع الثمن ذراعاً كاملة!

جز «إسحاق» على أسنانه في غيظ ، وبصق في الأرض

وهو يقول : لولا أن الأوامر لديّ هي الإبقاء على حياتك لحين نقلك إلى بلادنا ، لجعلت من رأسك مصفاة لرصاص مسدسي!

واقترب «سامنجو» من ماجد وهو يحدّق فيه بكراهية قائلاً : لقد قتل هذا المصري العديد من رجالي ، وأوشك على إحراق أكواخ القرية لولا أن سارعنا بإطفاء الأكواخ التي أشعل النار فيها . وليس هناك ما هو أحب لي من إغماد خنجري في صدره ، لكي أثبت لهؤلاء الأغبياء الذين صدقوا تلك الأساطير القديمة الكاذبة عن ذاك الشاب القادم من بلاد النيل لإنقاذ قبيلة الماساى وتحرير غاباتها ، انها ليست سوى حكايات أطفال ، وأنه لا شيء قادر على هزيمة «سامنجو» زعيم «الماساى»!

فأجابه ماجد بسخرية قاسية : مرحبا بقرد الغابات الكبيرة . . الذي لا يجيد غير خطف الفتيات والتشدق بالكلمات الثرثارة كالنساء!

فالتمعت عينا «سامنجو» بغضب هائل و كراهية عميقة ، ثم اسنل سكينه من حزامه ، وهوى بها فوق صدر ماجد . . مكان قلبه تماماً!

* * *